موسوعة

الغزوات الكبرى

غزوة أحد

تأليف

محمد أحمد باشميل

« العدد ٦ »

المكتبة السلفية

القاهرة

محمد أحمد باشميل

من معارك الإسلام الفاصلة

- ٣ -

غزوة أحد

قدم له وقام بمراجعته وتقويم مصطلحاته العسكرية الحديثة
اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

المطبعة السلفية ومكتبتها
٢١ شارع الفتح بالروضة — القاهرة ● ٨٤٠٣٦٤

(الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ)

المقدمة

قبس من نور الرسول القائد

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

« القرآن الكريم »

بقلم

اللواء الركن

محمود شيت خطاب (*)

(*) الأخ اللواء الركن محمود شيت خطاب من كبار ضباط الجيش العراقي .. ولد في (الموصل) عام ١٩١٤ ودخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٧ واشترك بأربعة وعشرين دورة عسكرية ، واجتاز دورة الأركان في العراق ، ودورة الضباط الأقدمين (الضباط العظام) في انكلترا ، وكان الأول على مائة ضابط من مختلف جيوش العالم . —

بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه أسوة حسنة للمسلمين ، واقتفاء آثاره وهديه السبيل لإنقاذهم من التخلف والضلال .

كان ولا يزال ذا نزعة إسلامية قوية ، وهو رجل صلب العود ، يعتبر مثالا حياً للثبات على العقيدة ، سجنه قاسم العراق عام ١٩٥٩ عاماً واحداً ، نال من التعذيب والتنكيل من الشيوعيين (فى عهد قاسم) مالا يمكن لبشر أن يتحمله ، إلا من كان على مستوى متانة عقيدته وقوة إيمانه ... وكان من نتائج شدة التعذيب الذى ناله على أيدى الشيوعيين ، وجود (٤٢) كسراً فى جسمه .. والسبب فى تعذيبه أنه مسلم صريح بكفر بالشيوعية وكل مبدإ يخالف الإسلام .. ظل صامداً فى وجه الشيوعيين والديكتاتورية رافضاً التعاون مع قاسم العراق طيلة حكمه ، حتى ثورة ١٤ رمضان ١٩٨٢ هـ التى كان أحد العاملين فيها ... ثم أسند إليه منصب وزير البلديات والشؤون القروية ، كان أحد أعضاء اللجنة التى أسند اليها وضع دستور للعراق فى العهد الحالى وهو عضو المجمع العلمى العراقى ، ويحمل وسام الرافدين من الدرجة الأولى ، وهو أعلى وسام فى العراق .. له مؤلفات تاريخية وعسكرية مهنية مهمة ، منها كتاب (الرسول القائد) ، وكتاب (القضايا الإدارية فى الميدان والتدريب الفردى ليلا) وله الآن تحت الطبع ، كتاب (قادة الفتح الإسلامى) ويقع فى سبعة أجزاء ، صدر منه الآن الجزء الأول عن قادة فتح العراق والجزيرة . يعد كتابه (الرسول القائد) من أروع ما خطته الأقلام المسلمة . فى تاريخ الرسول العسكرى ، حيث لم يسبقه أحد إلى الطريقة التى سلكها فى وصف المعارك التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أثبت للقارئ (بفلسفة عسكرية شيقة) أن محمداً — بالإضافة إلى كونه نبياً مرسلا — هو أعظم قائد عسكرى عرفته البشرية . أكثر الله من أمثال هذا الضابط المؤمن فى رجالنا العسكريين .

وأعماله فى السلم والحرب لابد أن نتدارسها بإمعان ودقة ونتفهمها كما تفهمها أصحابه والسلف الصالح من بعدهم تجسيداً حياً لتعاليم الإسلام : عقيدة وعملاً وتضحية وجهاداً .

نتدارس أعماله ونتفهمها بعقولنا وقلوبنا معاً : بعقولنا لنعرف الحقائق الناصعة التى حدثت (فعلاً) دون مبالغة واختلاق ، وبقلوبنا لنلمس النور والهدى اللذين يسّرا للمسلمين الأولين التقدم والنجاح .

إن الإسلام فى روحه عقيدة بناءة منشئة ترتكز على (المادة) كما ترتكز على (الروح) ، فهو دولة ودين : سيف وكتاب ، ثكنة ومسجد ، جامعة وجامع ، أرض وسماء ، جسد وروح ، توكل وعمل .. إيمان بالعمل المادى من أجل الدنيا ، وإيمان بالعمل الروحى من أجل الآخرة .. وإيمان بالمنطق وإيمان بالغيب .

إن الإسلام كفاح لايهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد فى سبيل الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ فى ضمير (الفرد) وينتهى فى محيط (الجماعة) .. وهذا هو سر خلوده : مادة وروح ، تسيطر عليه روح المسجد مكاناً للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم .

— ٢ —

كان العرب قبل الإسلام ماهرين فى حروب العصابات . ماهرين فى استخدام السلاح والفروسية ، لهم قابلية ممتازة على الحركة من

مكان إلى آخر بسهولة ويسر وسرعة وبأقل تكاليف إدارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد ، لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية تذهب عبثاً فى الغارات والمناوشات المحلية بين القبائل المختلفة وحتى بين القبيلة الواحدة :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

فلما جاء الإسلام وحّد عقيدتهم ونظم صفوفهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة وطهّر نفوسهم ونقّى أرواحهم وأشاع فيهم انسجاماً فكرياً . فأصبحت قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة تعمل بنظام دقيق وضبط متين بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون فى مشارق الأرض ومغاربها إخوة يتحابون بنور الله ويهتدون بهديه وهم أمة واحدة تحيتها السلام وغايتها السلام ودينها الإسلام .

وكانت حياة النبى ﷺ بمكة بعد بعثه حتى هجرته توحيداً من أجل الجهاد ، وكانت حياته بالمدينة بعد هجرته إليها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى جهاداً من أجل التوحيد .

واستطاع الرسول القائد فى حياته توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام واستطاع أصحابه من بعده بعد سنين قليلة نشر سلطانهم فى المشرق والمغرب .

— ٣ —

لقد انتصر العرب المسلمون على العرب فى أيام النبى ﷺ ، كما انتصر العرب المسلمون على الغساسنة والمناذرة من العرب وعلى الفرس والروم من بعده ، ولم يكن انتصارهم لأنهم عرب وكفى ، بل لأنهم

عرب مسلمون ، فهو انتصار عقيدة لا مراء : عقيدة غرست في نفوسهم حب الضبط والنظام ، وحببت إليهم الاستشهاد في سبيل الحق ، وجعلتهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر ، كما بعثت فيهم الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم (رسالة) واجبة الأداء للعالم .

هذه العقيدة التي ملأت قلوبهم في مبدإ سيرهم ونهايته وصحبتهم من (بدر) في الحجاز إلى (بلاط الشهداء) في فرنسا ، وخالفتهم مشرقين ومغربين وهازمين ومهزومين ، وجعلتهم يثقون بوعد الله لهم في فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والعدل .

لقد تقبل العرب الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والجهاد والتضحية والفداء ، لذلك سادوا العالم ودوّخوا الدنيا ، فلما أصبحوا يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه خسروا كل شيء وأصبحوا أذلاء مستعبدين حتى في ديارهم ، فما أحرانا أن نتفهم الإسلام ونتفهم حياة النبي الكريم ﷺ التي هي التطبيق العملي للإسلام كما تفهّم ذلك الصحابة والسلف الصالح لنستعيد مكانتنا التي كانت للصحابة والسلف الصالح من قبل ؟ .

— ٤ —

وما دمنا بصدد غزوة (أحد) موضوع هذا الكتاب فما الذي نقتبسه من دروس وعبر . حكاماً ومحكومين . قادة وجنوداً ، من جهاد النبي ﷺ وجهوده وجهاد أصحابه وجهودهم رضوان الله عليهم في هذه الغزوة بالذات .

كان هدف المشركين في غزوة (أحد) هو أخذ ثاراتهم من المسلمين ،

وكان هدف المسلمين هو الدفاع عن عقيدتهم حماية لحرية نشرها ، لذلك كانت حرب المشركين حرباً عدوانية وكانت حرب المسلمين حرباً عادلة [1]

وكان المسلمون يؤمنون بعقيدة واحدة أشاعت فيهم الانسجام الفكري والعلمي ، أما المشركون فلا عقيدة لهم تشيع فيهم هذا الانسجام.

وكانت قيادة الرسول ﷺ في هذه المعركة نموذجاً حياً للقيادة الواعية المثالية : حصل على المعلومات عن عدوه ، وعقد المؤتمرات الحربية وأصدر قرارات سريعة جازمة وتمسك بها ، ووضع خطة واضحة دقيقة وأصدر أوامر حاسمة صريحة ، وسيطر على أعصابه في أحلك الظروف ، وتشبث بأسباب رفع المعنويات وأبدى شجاعة خارقة .

إن قيادة النبي الكريم في معركة (أحد) تبهر أنفاس كل مفكر عسكري وقائد إعجاباً بها وتقديراً لمزاياها . .

لقد اصطرعت عبقرية الرسول القائد وعبقرية خالد بن الوليد في (أحد) ، فكانت الغلبة لعبقرية قيادة النبي القائد على عبقرية الصحابي القائد [2] .

فقد كان خالد قائد فرسان المشركين في (أحد) وكان التفوق العددي إلى جانب المشركين ، ومع ذلك استطاع المسلمون بفضل

---

(١) الحرب العادلة : حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ أن يرفعه ، ويشترط فيه أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، ووجوب احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن ، فهي إذاً حرب دفاعية ، والحرب العدوانية بعكس ذلك ، انظر قوانين الحرب والحياد .

(٢) كان خالد — بعد أن أسلم من أكابر الصحابة الفاتحين ، وستأتي ترجمته إن شاء الله .

قيادة الرسول ﷺ أن يدحروا المشركين في الصفحة الأولى من المعركة حتى أخذ المسلمون ينتهبون معسكر المشركين ، مما جعل بعض رماة المسلمين يتركون مواضعهم ظناً منهم أن المعركة قد انتهت لصالح المسلمين ، فانتهز خالد فرصة انسحاب هؤلاء الرماة لضرب المسلمين من الخلف ، فأصبح المسلمون مطوقين من كل جانب بقوات المشركين المتفوقة عليهم تفوقاً ساحقاً ، في هذا الموقف الرهيب العصيب بالنسبة للمسلمين . يبرز اصطراع عبقريتى القائدين العظيمين ، فينجح الرسول القائد في إنقاذ أصحابه من هلاك أكيد ، ويفشل خالد في القضاء على المسلمين ، ولولا مخالفة الرماة لأوامر الرسول ﷺ الصريحة الجازمة في الثبات حتى النهاية في مواضعهم ، لاستحال على خالد أن يوفق في ضرب المسلمين من الخلف ولما كان له في هذه المعركة من أثر ملموس .

واصطرعت عبقريتا القائدين العظيمين في (الخندق) وفي (الحديبية) أيضاً ، فانتصرت عبقرية الرسول القائد على عبقرية خالد ، إذ لم يظهر لخالد فيهما أثر حاسم في الوقت الذى ظهر للرسول ﷺ فيهما أثران حاسمان ، في كل معركة أثر حاسم .

ولست أعرف قائداً في تاريخ العرب والمسلمين غير الرسول القائد ﷺ يمكن أن يفضل على القائد العبقري خالد بن الوليد .

تلك هي عوامل انتصار المسلمين تحت قيادة رسول الله ﷺ ، حرب عادلة دفاعاً عن حرية نشر الإسلام وتوطيداً لأركان السلام ، تقابلها من جانب المشركين حرب عدوانية انتهاكاً للحرمات وطلباً

للثارات والمغانم ، والنصر دائماً للحرب العادلة على الحرب العدوانية في المدى القريب أو البعيد .

وعقيدة منشئة بناءة تدعو للسلام وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتساوى بين الناس ، تقابلها من جانب المشركين عقيدة فاسدة تدعو للعصبية وتبشر بالتفرقة العنصرية وتحث على الظلم والعدوان ، والنصر دائماً للحق على الباطل ، وللنور على الظلام ، وللخير على الشر ، وللخلق الكريم على الخلق اللئيم .

وقيادة رشيدة فذة لا ينافسها في كفاءتها منافس ، تقابلها قيادات ضعيفة منحرفة يتنافس أصحابها على حب الظهور والسيطرة والسلطة والسلطان .

— ٥ —

بقى علينا أن نتعلم عبرة (أحد) في مخالفة الأوامر والتعلق بمتاع الحياة .

فقد كان السببان المباشران لانتكاسة المسلمين في (أحد) هما :

مخالفة الأوامر أولاً وعدم مطاردة المشركين بعد انتصارهم عليهم في الصفحة الأولى من صفحات القتال يوم (أحد) .

لقد أخطأ رماة المسلمين خطأ لا يغتفر في مخالفتهم لأوامر الرسول ﷺ الصريحة الجازمة وانسحابهم من مواضعهم الأصلية لجمع الغنائم ، ولولا انسحابهم هذا لما استطاع خالد بن الوليد ضرب مؤخرة المسلمين ، ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين وتكبيدهم سبعين من الشهداء .

إن مخالفة الأوامر فى (أحد) درس لاينسى من نتائج كل مخالفة عسكرية للأوامر فى الحرب ، وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس فى النفوس .

كما أخطأ المسلمون خطأ لا يغتفر أيضاً فى عدم مطاردة المشركين بعد فرارهم من موضعهم وابتعادهم عن معسكرهم لكى يجمعوا الغنائم والأسلاب .

ولو أن المسلمين طاردوا المشركين إلى مسافة مناسبة لقضى على أكثرهم قتلاً وأسراً ولأصبحت مخلفات المشركين فى متناول أيديهم بعد القضاء على قواتهم الضاربة (١) .

ترى أنعتبر بهذين الدرسين المفيدين فى هذه الأيام نغض عن المتاع المادى مؤثرين عليه ما عند الله ، فما عند الناس لا يبقى وما عند الله خير وأبقى .

— ٦ —

إن قصة حياة أبطال العرب والمسلمين وعلى رأسهم بطل الأبطال ورجل الرجال سيد القادات وقائد السادات محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليمه عليه تبهر العقول والأبصار .

فهل ستصمت الأصوات المنكرة التى عملت جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا لتستورد تاريخاً وتراثاً من وراء الحدود ، أم على قلوب أقفالها ؟

أما الذين هداهم الله ، فسيقولون بفخر واعتزاز : (أولئك آبائى فجئنى بمثلهم) .

(١) انظر تفاصيل غزوة أحد فى كتاب : الرسول القائد — لكاتب المقدمة :

وأما الذين فى قلوبهم مرض ، من الذين ارتفعت أصواتهم المنكرة المريبة يدعون إلى رجال غير رجالنا ، وقادة غير قادتنا ، وأفكار غير أفكارنا ، ومعتقدات غير معتقداتنا ، فيجب أن تُخرس – بطولات ، وإيمان أجدادنا الغر الميامين – ألسنتهم وتُسكت أصواتهم إلى الأبد .

والحمد لله الذى يسّر للأخ الأستاذ محمد أحمد باشميل أن يكتب صفحات رائعة من حياة الرسول القائد ﷺ بهذا الأسلوب الرائع وهذا الفهم السليم .

وهذا الكتاب الذى أقدمه اليوم أقوى ما أكون أملاً فى أن يملأ فراغاً وأن يسد حاجة سيتلوه للمؤلف (بمشيئة الله) كتب عن المعارك الحاسمة التى شهدها النبى ﷺ فى حياته والتى شهدها المسلمون من بعده فحملوا رايات الإسلام من الصين شرقاً إلى فرنسة غرباً إلى حدود سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندى جنوباً .

وفق الله الأخ الأستاذ الجليل محمد أحمد باشميل وسدد خطاه وأعانه على تحقيق أمانيه فى خدمة العرب والمسلمين .

اللواء الركن

محمود شيت خطاب(1)

عضو المجمع العلمى العراقى

---

(1) انظر مقدمة الجزء الأول من كتاب قادة الفتح الإسلامى عن قادة فتح العراق والجزيرة – لكاتب المقدمة – صدر عن دار القلم بالقاهرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأبطال الميامين الذين قال الله تعالى فى حقهم ـ ثناء عليهم ـ ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ .

وبعد ، لقد منّ الله علينا فى مثل هذا الشهر المبارك من السنة الماضية (١٣٨٢هـ) فأصدرنا كتاب (غزوة بدر الكبرى) وهو الكتاب الأول من سلسلة (معارك الإسلام الفاصلة). التى اعتزمنا بعون الله تعالى إصدارها تباعاً لنضع بين يدى هذا الجيل (وخاصة الشباب الناشئ) صفحات رائعة وضاءة مشرقة من تاريخ هذه الأمة الإسلامية المجيدة .. صفحات تحالف على طمسها وعقد العزم على مسخها أعداء من الداخل وخصوم من الخارج فافتقدها الطالب المسلم فى فصل المدرسة ومدرج الكلية ، وحيل بينه وبين العثور على هذه الصفحات (بأساوب وآخر) حتى فى غير المدرسة والكلية ، فنشأ جاهلاً (كل الجهل) بتاريخ دينه القويم وأخبار صفوة أمته المجيدة .

وتلك أغلى أمنية تتحقق للعدوّ الحريص على محو الإسلام وإلغاء شخصية الأمة الإسلامية .

إننا (بعون الله تعالى ، وفى محاولة نرجو أن تكون موفقة لخدمة التاريخ الإسلامى) نضع الآن بين يديك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب (غزوة أُحُد) وهو الكتاب الثانى من سلسلة كتاباتنا عن (معارك الإسلام الفاصلة) .

وإنك سترى فى هذا الكتاب تفاصيل معركة رهيبة خاضها الرسول القائد ﷺ بنفسه وأصيب فيها بجراحات بليغة ، كما تعرضت فيها حياته الغالية للخطر ، كما فقد ﷺ فى هذه المعركة الطاحنة ، ساعده الأيمن فارس الفرسان وبطل الأبطال عمه (حمزة بن عبد المطلب) رضى الله عنه .

لقد صهر الله (فى وقائع هذه المعركة الرهيبة) صحابة محمد والمنتسبين إلى دينه كما يصهر التبر فى بوتقته [1] الحامية لنفى الخبث عنه وتصفيته :

﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ [2] .

نعم لقد ذاق محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم (فى هذه المعركة) حلاوة النصر ثم تجرعوا مرارة الهزيمة ، كما أخذوا دروساً قاسية من عواقب العصيان المريرة ومخالفة الخطط المرسومة للمعارك .

---

(١) البوتقة : الوعاء الذى يذيب الصائغ فيه المعدن :

(٢) آل عمران : ١٣٨

لقد كانت معركة أُحُد (بحق) سلسلة من الامتحانات القاسية ، سبّبتها مفاجآت مثيرة وتحوّلات ومباغتات مذهلة غير منتظرة ، امتحن الله بها صفوة هذه الأُمة فى مختبر المصائب والنكبات ، فابتلاها بأنواع من القتل والجرح والاندحار ، ليختبرها (وهو الأعلم بها) :

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [1] .

ولقد ظهرت فى معركة أُحُد أنواع من البطولات الإسلامية وضروب من التضحية والبذل والفداء. لم تشهد الدنيا لها مثيلاً ، كما سيرى القارئ تفاصيل ذلك فى هذا الكتاب .

وإنها لدروس فى الصدق والإيمان بالله والوفاء بالعهد والإخلاص للعقيدة والتضحية فى سبيل المبدإ ، سجلها (فى هذه المعركة) أولئك الأجداد البررة ، دروس جديرة بأن يعيها الأحفاد ويترسموا خطاها ويهتدوا بهديها ، إذا ما كانوا راغبين (حقاً) فى تحقيق الخير لهذه الأُمة وتوفير الأمن والرخاء والسعادة والعزة والاستقرار لها .

إن التاريخ (دائماً) مرآة تنعكس فيها حقيقة كل أمة ويظهر فيها واقع كل جيل ..

وكل أمة واعية لها ماض مجيد ، فإن رجال الحكم المخلصين فيها ، وقادة الفكر وأساطين العلم الأُمناء ، يحرصون دائماً على نشر هذا الماضى وتجسيده تجسيداً كاملاً ، أمام أجيالها ، فيعملون على تغذية عقول الشباب (وخاصة المثقف منهم والعسكريين) بأخبار ذلك الماضى المجيد فى كل وجبة من وجبات غذائهم الفكرى والثقافى لتواكبهم صور ذلك

---

(1) آل عمران : ١٤١ :

الماضي المجيد المشرق في جميع مراحل تكوينهم العقلي والروحي والثقافي والعسكري .

إن نظر الأحفاد (بتمعن وتفهم) في تاريخ الأجداد الملىء بروائع المجد والفخار والزاخر بأخبار البطولة والثبات على العقيدة لهو من أكبر العوامل التي تنشط في نفوس الشباب المسلم عناصر طلب المعالي ، وتحفزهم على التخلق بأخلاق أولئك الأساطين البررة (الذين نحّوا القياصرة والأكاسرة عن مقبض قيادات العالم فقادوا الدنيا قيادة حازمة حكيمة عادلة) وتحبب إليهم التمسك بالمبادئ التي بنى عليها أولئك الأجداد دعائم مجد الأمة الإسلامية الذي كان ولا يزال حديث الدنيا .

إننا مرة أخرى نهيب بالحكام المخلصين لشعوبهم ، الصادقين في إيمانهم بدينهم ، ونأمل من قادة الفكر وأساتذة التربية في الأمة الإسلامية (وخاصة العربية منها) أن يعملوا — جادين — على رفع الحظر الذي وضعه خصوم الإسلام على تدريس التاريخ الإسلامي تدريساً يفي بالغرض المطلوب ويحقق الثمرة المرجوة ، أيام تسلطهم (فكرياً وسياسياً) على أكثر أقطار عالمنا الإسلامي .

إن شبابنا المثقف لا يزال (حتى هذه اللحظة) يعاني نقصاً كبيراً ويحس بفراغ هائل في معلوماته عن التاريخ الإسلامي ، وتلك إحدى ركائز الانحراف الذي يشاهد في كثير من المثقفين عصرياً ، الذين كان مصدر انحرافهم هذا : افتتانهم بكل ما هو أجنبي .

لقد ارتكبت في حق التاريخ الإسلامي (منذ بداية هذا القرن) ولا تزال تُرتَكَب حتى هذه اللحظة ، جنايتان كبيرتان ، ارتكبهما فريقان من أبناء الأمة الإسلامية نفسها .

فريق جعل من نفسه (باسم العلم) أداة طمس وتشويه للتاريخ الإسلامى ، حيث عمل (بحكم منصبه القيادى فى المدرسة والجامعة) على حرمان الطالب المسلم من معرفة أى شىء مفيد عن التاريخ الإسلامى بل إن هذا الفريق لم يكتف بهذا العمل التخريبى ، فقد حشى أذهان الطلاب (فى جميع مراحل نموهم الفكرى والثقافى) بوقائع تاريخ غير تاريخ أمتهم ، وزحم مخيلاتهم بصور بطولات رجال لايمتون إلى دينهم أو وطنهم بأية صلة ، وبهذا (وكما يريد الأجنبى المستعمر) قُطِعت الصلة بين الشباب المسلم (المثقف عصرياً) وبين تاريخ دينه القويم وماضى الأماجد من قادة أمته وأبطالها [1]

وفريق وهم الرجعيون (وهذا هو التعبير الصحيح للرجعية) يتكلمون بلغتنا ، بل وينتسبون إلى ديننا ، أرادوا أن يرجعوا بنا إلى ما قبل بزوغ شمس الإسلام . فتخطوا مروج التاريخ الإسلامى الزاهرة ، الفوّاحة بعبير المجد الصحيح وشذا العزة الحقيقية ، واجتازوا مناطق إشراقات هذا التاريخ المجيد مغمضين أعينهم ، ثم انحدروا إلى زوايا التاريخ المظلمة ، حيث امتزجت خزايا أبى جهل بحماقات أبى لهب واختلطت مباذل كيلوباترا بخرافات أبى الهول ! .

فقد أراد هذا الفريق أن يجعل من نعرات تلك العهود السوداء المظلمة (عهود الجاهلية الأُولى) مذهباً حديثاً أو ديناً جديداً تسير عليه (فى حياتها) أمة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

لقد تجاهل هذا الفريق (عن قصد وإصرار) التاريخ الإسلامى ، وعمل (ما سنحت له الفرصة) على إلغائه ومحوه من ذهن الطالب المسلم ،

---

(١) انظر مقدمة كتابنا ــ غزوة بدر الكبرى :

واستبعاد مادة هذا التاريخ من جميع وجبات الفكر والثقافة ، عند تقديم هذه الوجبات لتغذية عقل الطالب المسلم ، ابتداء من أول فصل في المدرسة حتى آخر مرحلة في الجامعة .

بل إن هذا الفريق لم يكتف بهذا ، فقد سطا على التاريخ الإسلامي (كما يسطو اللصوص وقطاع الطرق) فجرّد جيده من كل ما يزينه من روائع أمجاد المسلمين وأخبار بطولات الفاتحين ويواقيت أفكار العلماء الصالحين ، ثم ألقى بها في جيد تاريخ جثة شوهاء ، هي العصبية المقيتة والعنصرية الضيقة البغيضة .

فصارت بطولة خالد بن الوليد وشجاعة سعد بن أبي وقاص وفروسية علي بن أبي طالب وعدل عمر بن الخطاب وغيرهم من عظماء الإسلام وقادته (وحتى روائع حياة النبي الأعظم ﷺ) يمط لسانه بها هذا الفريق (لا للاستشهاد بها على عظمة الإسلام وأصالة عقيدته وترغيب الناس فيه والدعوة إليه باعتباره المصدر الوحيد الذى كوّن هؤلاء الأبطال وصنع هؤلاء العظماء الذين حشوا فم التاريخ بذكراهم العاطرة) وإنما لصدّ الناس عن هذا الدين ، والدعاية لهذه العصبية الكريهة والعنصرية الضيقة المقيتة ، على اعتبار أن ما حققه هؤلاء العظماء والقادة هو جانب مشرق من جوانب تاريخ هذه العصبية المقيتة والعنصرية الضيقة وثمرة من ثمرات جهادها ، وباعتبار أن هؤلاء العظماء والقادة هم مؤسسو هذه العصبية اللادينية ومشيدى أركان هذه العنصرية اللاأخلاقية ، وتلك لعمر الحق أحط أنواع السرقة والاختلاس .

ودليلنا على ذلك ، هو أن هذا الفريق يتجاهل الإسلام ولا يشير إليه ، لا من قريب ولا من بعيد ، عندما يمط لسانه ويتشدق بعظمة

أبطال وقادة الإسلام هؤلاء ، بل إن هذا الفريق لتتمعر وجوههم ويعلوها الاكفهرار فيهمهمون همهمة السحرة ويزمزمون زمزمة المشعوذين ويلوون رؤوسهم عندما يجابههم أحد بالقول بأن علياً وسعداً وخالداً وعمراً وطارقاً وصلاح الدين وغيرهم من أبطال هذه الأمة وقادتها المظفرين ، لم يتربعوا على القمة فى تاريخ الخالدين إلا بعد أن اتخذوا من الإسلام ديناً ودولة وخلقاً ومعاملة وسيفاً وكتاباً وفكراً وسياسة ، وأنّ تجاهل الإسلام وإخراجه من الحساب (عن قصد مبيّت) عند الإشادة بهؤلاء الأبطال والقادة هو من العقوق المشين وغمط الحق وتزوير التاريخ ، لأن بطولة هؤلاء الأبطال وأمجاد أولئك القادة مرتبطة بالإسلام ارتباط الجسد بالروح ، فلولا الإسلام ، ما كان لهؤلاء القادة والأبطال ذكر فى دنيا المجد والبطولة والفخار .

فقد كان كثير من هؤلاء الأبطال موجودين قبل الإسلام فما هى حصيلتهم من المجد والبطولة والسمو يوم ذاك ؟؟ .

لا شيء ..

إذن .. فلتخرس تلك الأصوات المحمومة التى تحاول أن تجعل من هؤلاء القادة والعظماء الميامين ، أبطالا وطنيين صنعتهم خصائص العنصر ومزايا الدم ، متجاهلة دور الإسلام الرئيسى وفعالية زخم عقيدته البناءة فى تكوين هؤلاء العظماء والقادة وبناء كل ما سجلوه لهذه الأمة من مجد وفخار وذكرى عاطرة .

إن وقوف هذا الفريق (المنتسب إلى الإسلام) من الإسلام وتاريخه هذا الموقف ليس فيه أية خدمة لهذه الأمة أو هذا الوطن .

وإنما فيه الخدمة (كل الخدمة) لخصوم هذه الأمة وأعداء هذا

الوطن ، من شيوعيين حاقدين وصليبيين مستعمرين ، الذين لا يثلج صدورهم ويغمر نفوسهم بالبهجة والسرور شيء مثل أن يروا أبناء الإسلام (وفى وطن الإسلام) يتولون بأنفسهم محاربة هذا الدين وخنق صوته ومحو معالم تاريخه وإهالة التراب على كنوز هذا التاريخ الغالية الثمينة .

فهذه غاية ما يبتغى هؤلاء الأعداء وأقصى ما يتمنون .

فمحاربة الإسلام ومصادرة تاريخه لمنعه (بأيدى أبنائه) من الظهور فى مقررات التدريس فى فصل المدرسة ومدرج الكلية ، يسهل لهؤلاء الأعداء (على اختلافهم فى المقاصد والغايات) نشر مذاهبهم الهدامة وثقافاتهم المخربة المنحلة بين طلبة هذه الأمة .

لأن الأمة (أية أمة) إذا ألغت شخصيتها ، بنفض يدها من عقيدتها التى هى مصدر تكوين هذه الشخصية ، وتنكرها وتجاهلها لتاريخها الذى يمد هذه الشخصية بطاقات الحيوية والاستقلال الذاتى ، فإنها ولا شك تضطر للبحث عن (عقيدة جديدة) لتكوين شخصيتها الجديدة وصبغ هذه الشخصية بلون العقيدة الجديدة ، لأن أية أمة لا يمكن أن تكون لها شخصيتها المستقلة إلا فى إطار عقيدة تستظل بظلها وتهتف باسمها .

ثم إنه لابد لهذه الأمة (بعد تنكرها لتاريخها ومحوها لمعالمه) من النظر فى تاريخ أبطال وقادة وساسة ومفكرين يكونون مثلها الأعلى وقدوتها فى كثير من شؤونها ، ولابد ــ والحال هذه ــ من أن تتجه إلى خارج محيطها وتفتش فى غير تاريخها بحثاً عن هؤلاء القادة والأبطال والساسة والمفكرين .

وهذا هو الذى حدث بالفعل (داخل الوطن الإسلامى الكبير) لكثير من الشعوب التى ألغت شخصيتها الإسلامية المتمثلة فى إسلامها (كدين ودولة وخلق ومعاملة وتاريخ وعقيدة) .

فقد شهدت مناطق كثيرة من هذا الوطن الكبير فيوضات مختلفة من المذاهب الأجنبية المستوردة والأفكار الدخيلة المستهجنة والعقائد الغريبة المستنكرة ، حاول مستوردوها أن يبنوا (فى ظلها) لأنفسهم ولشعوبهم شخصية جديدة مستقلة بعد إلغاء شخصيتهم الإسلامية .

ولكنهم فشلوا فى محاولاتهم هذه فشلاً ذريعاً ، فصاروا كالغراب الذى حاول تقليد الحمام فى مشيته فصار يتخبط (بعد أن ألغى مشيته الأصلية) فلا هو احتفظ بمشيته الطبيعية التى هى جزء من تكوينه ولا هو أجاد مشية الحمام ، وإنما بقى حائراً متخبطاً بين بين .

وما تعانيه هذه الأقطار (التى ألغت شخصيتها الإسلامية وتنكرت لتاريخها الإسلامى وأهالت التراب عليه) من قلق واضطراب وعدم استقرار فى شتى نواحيها ، ليس له سبب إلا أن قادتها ومفكريها المسئولين حاولوا أن يكوّنوا لها شخصية جديدة ، قوامها مزيج من مذاهب وعقائد وأفكار غريبة دخيلة ، ترفضها طبيعة هذه الشعوب ولا تنسجم معها فى قليل أو كثير .

وإن اليوم المشهود الذى تبدأ فيه هذه الأمة سيرها فى الطريق المستقيم ، طريق الوحدة والتكاتف والعزة والاستقرار هو اليوم الذى تعود فيه هذه الأمة إلى إطار شخصيتها الإسلامية الحقيقية التى قوامها عقيدة القرآن ، وترمى عنها أثواب كل الشخصيات الأجنبية الدخيلة

المستعارة ، التي قوامها عقائد ومذاهب وأفكار هي أساس الشخصية الإسلامية على طرف نقيض ، وتفتح صفحات تاريخها الإسلامي المجيد لتنتشر موجات نوره الساطع في فصل المدرسة ومدرج الكلية ومقعد النادي وثكنة الجيش ، لينظر فيه الطالب بوعي وتبصر وفهم وإدراك ليستخلص من روائع هذا التاريخ ما يكون له حافزاً ومشجعاً على التمسك بالمبادئ القويمة والعقائد البناءة المستقيمة التي صنعت أولئك الأفذاذ من الأبطال والقادة والمفكرين الذين قامت على كواهلهم دعائم هذا التاريخ المشرق الشامخ الذي لا يزال فم الدنيا محشواً بذكراه العاطرة ، وفي مقدمتهم الأبطال الأوائل من صفوة هذه الأمة (المهاجرون والأنصار) الذين خاضوا (بضراوة يمدها زخم الإيمان) معركة المصير هذه — معركة أحُد — التي هي موضوع كتابنا هذا ، والتي نرجو أن نكون (بوضع تفاصيل هذه المعركة بين يدي الشباب المؤمن بربه ودينه والمعتز بتاريخه) قد أدّينا بعض ما يجب علينا نحو ديننا وأمتنا وتاريخنا .

والله أسأل أن يمدنا بعونه وتوفيقه وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى ، وأن يجنب أعمالنا عيوب السمعة والرياء المحبطة إنه سميع مجيب ، ﴿ وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (١)

رمضان المبارك ١٣٨٣ هـ — فبراير ١٩٦٤ م .
مكة المكرمة — المملكة العربية السعودية .

محمد أحمد باشميل

(١) الجاثية : ٣٦ .

أحـــد

أحُد (بضم أوله وثانيه) جبلٍ شهير من جبال المدينة المنوّرة ، ويقع هذا الجبل فى شمالى المدينة ، ويقع على بعد حوالى أربعة كيلو مترات منها .

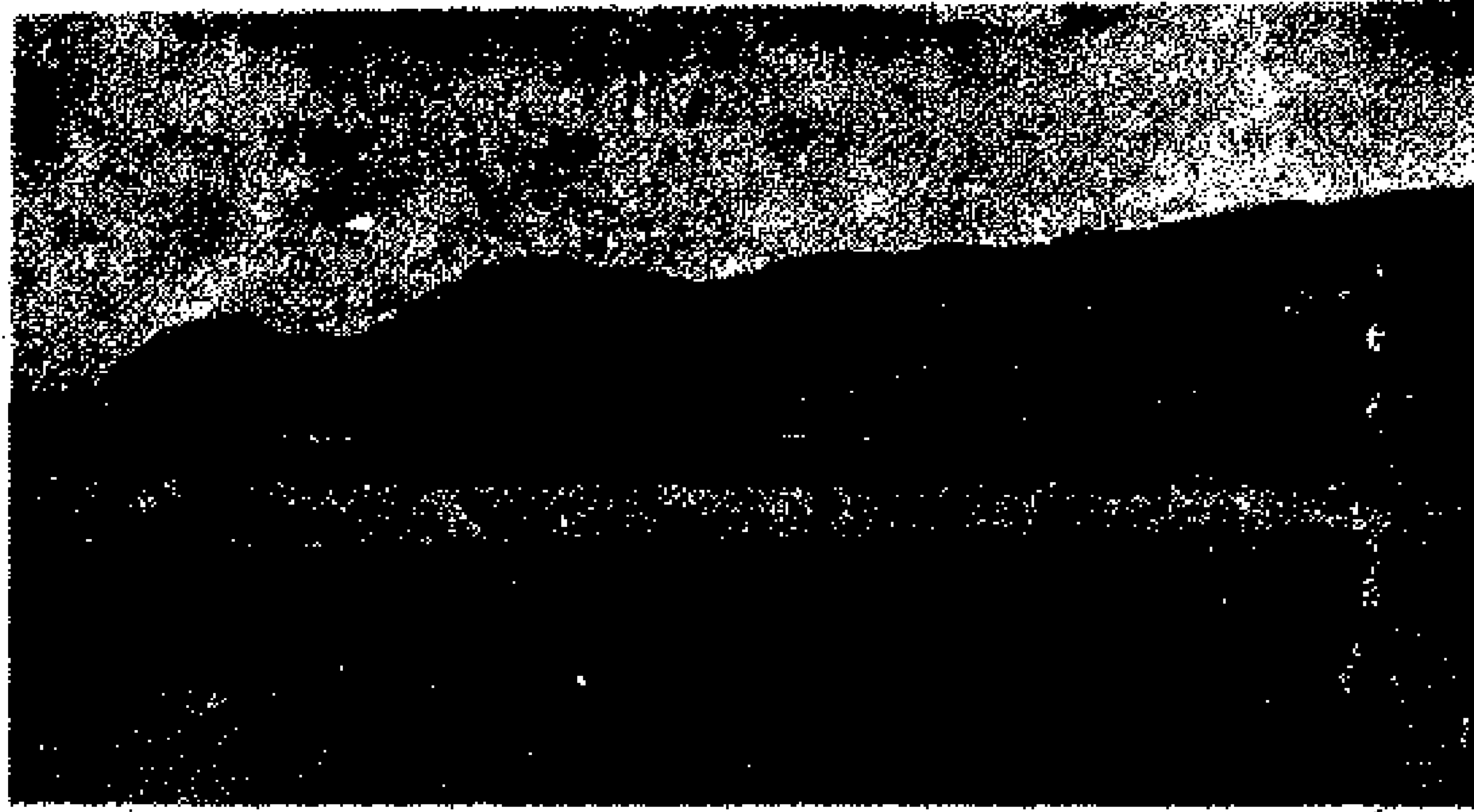
ويفصل جبل أحُد عن المدينة وادى قناة الذى يأتى من شرق المدينة الذى يمر حذاء جبل أحُد متجهاً نحو الغرب حتى يصب فى زغابة .

أما وصف جبل أحُد الطبيعى ، فهو صخرى من الجرانيت وطوله من الشرق إلى الغرب ستة آلاف متر ، وفيه رؤوس كثيرة وهضبات شتى ، من كثرتها يكاد الناظر إليه ، يتخيّلها جبالاً شبه مستقلة ، أو يخيل إليه أن أحُداً هذا هو عبارة عن جبال كبار وصغار مرتبطة بعضها ببعض ، ومن مجموعها العموى تشكلت وحدة هذا الجبل .. ومن تلاصق هذه الجبال ووجود منفرجات بينها تكونت فى أحد المهاريس التى هى نقر طبيعية لحفظ المياه المتحدرة من أعالى الجبل[1] .

وقد وقعت المعركة بالقرب من سفوح هذا الجبل من الناحية الجنوبية فى بطن وادى قناة وما حواليه من السهول .

---

(١) آثار المدينة المنورة ص ١٤١ السيد عبد القدوس الأنصارى .



منظر عام بجانب من جبل أحد ، وقد ظهر أمامه الفضاء الواسع
الذى يقع بينه وبين المدينة .



المؤلف يتسلق إحدى هضاب جبل أحد أثناء تجواله حول مواقع المعركة

وقد ورد فى الحديث الشريف « أُحُد جبل يحبنا ونحبه » .

وفى فم الشّعب من هذا الجبل عسكر النبى ﷺ بجيشه ، وبهذا احتل مركزاً مرتفعاً ممتازاً أجبر المشركين على قبول المعركة عنده ، مما ساعد المسلمين على إنزال الهزيمة بالمشركين فى الصفحة الأُولى من المعركة ، ويسّر لهم الانسحاب بانتظام إلى هضاب جبل أُحُد بعد الانتكاسة .

وفى فم الشّعب من أُحُد توجد مقبرة الشهداء الذين صرعوا فى معركة أحد ، ولا يعرف الآن (على وجه التحديد) من قبور هؤلاء الشهداء ،



الواقف فى جدول الماء من بطن وادى قناة ، هو الشيخ سيف بن سعيد اليمانى رئيس هيئة الأمر بالمعروف فى المدينة الذى تكرم مشكوراً فساهم مساهمة كبيرة فى إرشادنا إلى أماكن كثيرة لها علاقة بالمعركة كنا نجهلها .

سوى قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش رضى الله عنهما اللذين دفنا فى قبر واحد ، ويوجد هذا القبر على مرتفع من فم الشعب مما يلى وادى قناة ، وتقع شمال هذا القبر مقبرة الشهداء الآخرين رضى الله عنهم .

جبل عينين

أما جبل عينين ، وهو المسمى بجبل الرماة ، فهو جبل صغير يغلب عليه لون الاحمرار ، وهو يقع جنوب فم الشعب الذى اتخذه الرسول معسكراً لجيشه قبل المعركة ، ويبعد عن نقطة هذا المعسكر حوالى ستين متراً ، ويقع هذا الجبل على الضفة الجنوبية لوادى قناة الذى يفصل بينه وبين جبل أُحُد .

وفى جبل عينين هذا أمر الرسول ﷺ أن تتمركز فصيلة من رماة النبل قوامها خمسون رامياً ، وقد تمركزت فى الجبل بقيادة عبد الله ابن جبير [1] ، وقد كان هدف الرسول من تمركز هؤلاء الرماة فى هذا الجبل حماية مؤخرة المسلمين من أن تضر بها خيالة المشركين من الخلف عند احتدام المعركة .

---

(١) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسى الأنصارى أحد البدريين ومن الذين شهدوا بيعة العقبة فى منى ، استشهد رضى الله عنه عندما عصاه جنده من الرماة وتركوا الجبل وثبت هو مكانه حتى كر عليه خالد بن الوليد بفرسانه الذين قاتلهم حتى قتل ومن ثبت من الرماة رضى الله عنهم .

الفصل الأول

مجمل الأحداث السياسية والعسكرية
بين معركتي بدر وأحد

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وجد بها يهوداً [1] توطنوا فيها ، وعلى الرغم من الاختلاف الذي بين الإسلام واليهودية ، فإن النبي ﷺ ، لم يتخذ (ابتداءً) ضد اليهود أي موقف من مواقف النفي أو التضييق أو المصادرة (بسبب الاختلاف في الدين) .

---

(١) اليهود هي الأمة المشهورة في تاريخ العالم ببني إسرائيل ، أصلهم من الساميين ، رحلوا تحت قيادة إبراهيم عليه السلام ، في القرن (الثالث والعشرين) قبل الميلاد ، ونزلوا بأرض كنعان (جنوب الشام) وقد تكاثر اليهود بمصر أيام حكم نبي الله يوسف لها ، وذلك أن يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب (الذي هو إسرائيل) فقد أحضر يوسف بني إسرائيل إلى مصر (باعتبارهم إخوة له كما هو مشهور) فتكاثروا في مصر لأنهم مكثوا فيها أربعة قرون ، ولكنهم بعد ذلك لقوا من ملوك مصر اضطهاداً فأرسل الله إليهم موسى فأنقذهم من فرعون كما هو معروف في القرآن .. ويرجع عهد وجود اليهود في المدينة (كما جاء في دائرة معارف فريد وجدى) إلى سنة ١٦٠٠ قبل المسيح ، وذلك أن موسى وهو في طريقه إلى فلسطين أرسل فرقة منهم لتكتشف له تلك الجهات فساروا إليها وبلغهم موته ثم ساكنوا العرب في أرضهم (يثرب) .

بل رضى (عن طيب خاطر) أن يبقى هؤلاء اليهود فى المدينة ، (مواطنين) أحراراً لهم دينهم وللمسلمين دينهم ولم يحدث أن أجبر الرسول ﷺ أحداً من هؤلاء اليهود على الدخول فى الإسلام .

المعاهدة بين الرسول واليهود

بل لقد ذهب ﷺ إلى أبعد من هذا ، حيث عقد مع هؤلاء اليهود (رغبة منه فى شيوع السلام فى المنطقة) معاهدة تضمنت عدم الاعتداء والدفاع المشترك عن منطقة يثرب .

ومن أهم بنود هذه المعاهدة :

أ ـ الدفاع المشترك

فقد جاء (فى المعاهدة) بهذا الخصوص .

«وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبرّه ، وأنه لا تجارُ قريش ولا من نصرها ، وأن بينهم (أى المسلمون واليهود) النصر على من دهم يثرب .

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه .

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة (أى صحيفة المعاهدة) وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم» .

ب — عدم الاعتداء وحسن الجوار

وجاء (فى صلب المعاهدة) بهذا الخصوص .

« وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة . وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وأنه لاتجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وأنه لا يحول هذا الكتاب (أى صك المعاهدة) دون ظالم أو آثم . وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة . إلا من ظلم (بفتح أوله) أو أثم » .

ج — حرية العقيدة للفريقين

وبهذا الشأن جاء (فى صلب المعاهدة) .

« وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم (بفتح أوله) أو أثم فإنه لا يوتغ (أى لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن بطانة يهود كأنفسهم »[1] .

وكانت هذه المعاهدة قد عُقِدَت بين المسلمين واليهود عقب هجرة النبى ﷺ من مكة وقبل معركة بدر .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٠٣ — ٥٠٤ .

وقد كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على تنفيذ ما جاء فى هذه المعاهدة ، وفعلاً لم يأت من جانب المسلمين ما يخالف حرفاً واحداً من نصوصها .

ولكن اليهود ، بعد انتصار المسلمين فى بدر أخذ القلق يساورهم ، وازداد حقدهم على الإسلام والنبي ﷺ ، وخافوا أن يجمع النبي الناس على الإسلام ، فيهدم بذلك سيطرة اليهود المادية والسياسية المبنية على تفرّق العرب وتناحرهم وعصبيتهم وتقاتلهم المشهور فى الجاهلية .

ولهذا عادت لليهود طبيعتهم المشهورة فى نكث العهود ، ونبذ المواثيق ، وأخذوا يفكرون (جدياً) فى الكيد للإسلام والإطاحة بالنبي وأتباعه ، بالرغم من المواثيق التى أبرموها والعهود التى أعطوها .

اليهود ينقضون المعاهدة

وهكذا صار المسلمون (بعد انتصارهم فى بدر) يواجهون سلسلة من المتاعب والقلاقل داخل المدينة التى اجتهد اليهود (يساندهم المنافقون) فى إثارتها لإشغال المسلمين وتفريق كلمتهم .

لقد كان الرسول حريصاً على أن يستتب الأمن فى المدينة . وأن يتعايش سكانها (على اختلافهم فى الدين) تعايشاً سلمياً كما هى طبيعة دعوة الإسلام وليتفرغ لمواجهة الهجمات التى كان يتوقعها من مشركى العرب ، وخاصة أهل مكة الذين بات من المؤكد (لدى المسلمين) أنهم

سيقومون بحرب شاملة (١) ضدهم ليردوا اعتبارهم الذى فقدوه فى معركة بدر.

ولكن اليهود (على الرغم من تظاهرهم بحب السلام ورغبتهم فى التعايش مع المسلمين سلمياً) أخذوا يبحثون لهم كل يوم عن متاعب جديدة، فصاروا يثيرون القلاقل ضد النبى ، ويتحدون شعور المسلمين ويستفزونهم.

بل إن البعض من هؤلاء أخذ يدعو (علناً) إلى محاربة المسلمين ، ويغرى قبائل العرب الوثنية بهم ويحرضهم على قتالهم ، خلافاً لنصوص المعاهدة المعقودة بين المسلمين واليهود .

وكان المسلمون (مع هذا) يقابلون كل ذلك بصبر عظيم وحلم واسع ، ويحاولون (جهدهم) تذكير اليهود وإعادتهم إلى جادة الصواب بالطرق السليمة .

ولكن اليهود تمادوا فى غيهم ، وازداد طغيانهم ، فتوسعوا فى تحرشاتهم بالمسلمين وأكثروا من تحدياتهم واستفزازاتهم .

فتنة يهود بني قينقاع

وكان بنو قينقاع (وهم من سكان المدينة) أول من أثار الشغب على

---

(١) قال اللواء الركن محمود شيت خطاب : الحرب الشاملة أو الحرب الاجتماعية مصطلح عسكرى يراد تحشيد كافة الإمكانات المادية والمعنوية لنيل النصر فى الحرب ، وكان الألمان يباهون الأمم بأنهم أول من طبق هذه الحرب ، فى الحرب العالمية (الثانية) بينما طبقها المسلمون قبل أربعة عشر قرناً ، قال الله تعالى : ﴿ انفروا خفافا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾

المسلمين واستفزهم وسخر منهم واستهان بأمرهم . وكانوا من أغنياء المدينة ، وكانت لهم حصون حربية بها .

وهم أول من نكث العهد من اليهود ، قال ابن إسحاق :

« وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني قينقاع (بفتح أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه) كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد » .

يتحدون النبي

وعندما تفاقم أمر يهود بني قينقاع ، واشتد طغيانهم ، جمعهم النبي ﷺ (في مؤتمر عقده في سوقهم بالمدينة) حاول فيه إصلاحهم وإرجاعهم عن غيهم . وإعادتهم إلى جادة الصواب والتزام نصوص المعاهدة المبرمة بين المسلمين ويهود ..

فنصحهم وحذرهم مغبة البغي . وذكرهم بالثار المرّة التي جنتها قريش يوم بدر كحصيلة البغي والعدوان .

ولكن جواب يهود (إزاء هذا النصح النبوي والمحاولة الإصلاحية الصادقة) كان في غاية الوقاحة المشوبة بالغطرسة والتحدّي . حيث أجابوا النبي عليه السلام على نصحه في هذا المؤتمر بقولهم :

يا محمد .. أترى أنّا قومك (يعني قريش) . لا يغرنّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة .. أما نحن أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس [1] .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٧ .

وأمام هذا الاستفزاز والتحدى ، كظم النبى ﷺ غيظه وتركهم ، وبقى المسلمون صابرين ، ينتظرون ما تتمخض عنه الليالى .

الشرارة الأولى

واستبد الطغيان (بيهود بنى قينقاع) . فاستمروا فى غيهم واستهتارهم بالمسلمين وتحرشهم بهم ، حتى كانت الشرارة الأولى التى أشعلوها (سفهاً) فأحاطوا أنفسهم بنيران الفتنة التى أذكوا لهيبها فوضعت حداً لطغيانهم وبغيهم وغدرهم .

فقد حدث أن امرأة مسلمة قدمت بحلىّ لها لتبيعه فى سوق بنى قينقاع ، ولما جلست إلى صائغ هناك اجتمع حولها نفر من اليهود يتحرشون بها ، ويجرحون شعورها وأرادوها على كشف وجهها ، فأبت ذلك . فعمد أحد الصاغة اليهود إلى عقد طرف ثوبها إلى ظهرها (وهى غافلة) فلما قامت انكشفت سوءتها فضحك اليهود منها وسخروا ، فاستغاثت المرأة ، وكان أحد المسلمين حاضراً فوثب على الصائغ اليهودى وقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه .

الحصار ثم التسليم

وهكذا أشعل بنو قينقاع الشرارة الأولى ، فوقعت الحرب بينهم وبين المسلمين ، وقد أسرع اليهود إلى حصونهم استعداداً للحرب ، واعتصموا فيها ، وكان ذلك فى منتصف شهر شوال من السنة الثانية للهجرة (أى بعد معركة بدر بحوالى خمسة وعشرين يوماً) .

وضرب النبى ﷺ عليهم الحصار خمس عشرة ليلة فحاربوه ، فلما اشتد عليهم الحصار اضطروا إلى التسليم ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ دون قيد أو شرط ، وكان الحصار بقيادة (أبى لبابة بشير بن عبد المنذر) وبعضهم يسميه رفاعة بن عبد المنذر (١).

ومن الجدير بالذكر أن الفئات اليهودية الأخرى فى المدينة وضواحيها (بالرغم من حرصهم على القضاء على المسلمين) لم يجرأوا على مساندة إخوانهم بنى قينقاع الذين وجدوا الجرأة فى انفسهم لمحاربة المسملين .

رأس النفاق يتوسط

وكان عبد الله بن أبى بن سلول (١) الخزرجى (رأس المنافقين) حليفاً لبنى قينقاع فلما مكن الله رسوله منهم جاء ابن أبى إلي رسول الله ﷺ وطلب منه أن يصدر عنهم (بصفتهم حلفائه) عفواً عاماً وبعد محاولات متكررة من عبد الله بن أبى أصدر الرسول ﷺ عفواً عاماً عن هؤلاء اليهود ، بشرط أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروا المسلمين فيها ، فخرجوا وطهر الله المدينة من شرورهم ودسائسهم .

وذكر ابن إسحاق (٢) أن يهود قينقاع لما نزلوا على حكم رسول الله، قام إليه عبد الله بن أبى بن سلول ، فقال :

« يامحمد أحسن فى موالى – وكانوا حلفاء الخزرج – فأبطأ عليه ﷺ فكرر ابن أبى طلبه ، فأعرض عنه فأدخل يده فى جيب

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر) .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٨ .

درع رسول الله ﷺ ، فتغير لون النبى ﷺ وقال له ، أرسلنى وغضب ﷺ حتى رأوا لوجه ظللاً ، ثم أعاد ﷺ وهو مغضب (أرسلنى ويحك) قال ابن أبى :

لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربعمائه حاسر [1] ، وثلاثمائة دارع [2] قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله : هم لك .

الجلاء عن المدينة

وقد عفا رسول الله ﷺ عن يهود بني قينقاع على شرط أن يخرجوا من المدينة ولايجاوروا المسلمين فيها ، فرحلوا إلى أذرعات الشام [3] ولم يبقوا هناك طويلاً حتى أهلكهم الله [4] وقد كان بنو قينقاع أول فئة يهودية يتم إجلاؤها عن المدينة .

وبالرغم من إخماد الرسول ﷺ لفتنة بنى قينقاع وعفوه الشامل عن مثيرى هذه الفتنة فإن الاخرين من يهود ، لم يتعظوا ولم يزدادوا إلا عناداً وحقدا وتوغلاً فى الكيد لرسول الله ﷺ وصحبه ، وإثارة للقلاقل ، واغتناماً للفرص للقضاء عليه وعلى دعوته

---

(١) الحاسر : الذى لادرع له

(٢) الدارع : الذى عليه الدرع

(٣) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، بلد فى طرف الشام وتجاوز أرض البلقاء

(٤) فقه السيرة ص ١٨٦

طاغية اليهود يتمرد

وكان المرابي الكبير كعب بن الأشرف الطائي [1] من أشد اليهود إيذاء لرسول الله ﷺ وتظاهراً بالدعوة إلى حربه .

كان كعب هذا من قبيلة طيئ [2] ثم من بني نبهان ، وأمه من بني النضير ، وكان غنياً مترفاً ومن المشهورين بالجمال بين العرب .

ولما بلغه انتصار المسلمين في بدر قال .. إنّ بطن الأرض خير من ظهرها .

وبالرغم من العهود والمواثيق التي عقدت بين المسلمين واليهود (والتي منها عدم مظاهرة قريش أو تأييدها) فإن كعباً هذا نكث بالعهد ، وخرج من المدينة يحرّض قبائل العرب على الرسول ﷺ ، ويدعوهم إلى حربه ، حتى وصل إلى مكة وأخذ يحرض قريشاً على المسلمين ، ويثير حفائظهم ويذكي حقدهم على النبي ﷺ .

وقد لجأ هذا اليهودي الحاقد إلى كافة السبل لإثارة قريش ، وحتى الأشعار أذاعها يبكي فيها قتلى بدر من المشركين والتي قال فيها يبكي أصحاب القليب :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدرٍ تستهل وتدمع

وعندما كان كعب هذا بمكة سأله أبو سفيان بن حرب .. أيّ

---

(١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر) .

(٢) طيء (بفتح الطاء) قبيلة عظيمة من قبائل كهلان ، من القحطانية ، تنتسب إلى طيء بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، كانت منازلهم باليمن ، ثم رحلوا منها إلى نجد وانتشروا لكثرتهم في الحجاز والشام والعراق .

الفريقين أهدى سبيلاً ، محمد وإسلامه ، أم قريش وأوثانها ؟؟ فقال أنتم أهدى سبيلا .

فأنزل الله تعالى بهذا الشأن ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾[1] .

مصرع الطاغية

ولم يرجع كعب بن الأشرف من رحلته الشريرة حتى حشد[2] قريشاً لقتال النبي ﷺ ، ولما رجع إلى المدينة أخذ يعلن العداوة ويحرّض الناس على قتال النبي وحرب المسلمين .

ولم يكتف بهذا ، بل أخذ يتحدّى شعور المسلمين ويشبّب بنسائهم (فى أشعاره) بأسمائهن الصريحة ، مما أدّى إلى إيذاء المسلمين .

وهكذا صار كعب بن الأشرف فى منزلة العدو المحارب الذى لم يبق له عهد ولا ذمة ، حيث أصبح مصدر تهديد لأمن المسلمين وخطراً على كيانهم فأصبح من الضرورى وضع حد لتصرفاته ، لتنجو الأمة من شره وبلائه ، لا سيما فى تلك الظروف الحرجة التى هى (بالنسبة للمسلمين) أشبه بالظروف الاستثنائية .

---

(١) النساء : ٥٢ .

(٢) مبدأ التحشد (كما يقول اللواء الركن خطاب) مبدأ من مبادئ الحرب ، وهو جمع أكبر قوة عسكرية فى المكان والزمان اللازمين .

فقد أصبح هذا المرابي اليهودي ومن يمالئه جبهة حربية تهدد المسلمين داخل المدينة ، لاسيما أن كعباً هذا من أغنى أغنياء العرب وله حصن منيع في ضواحي المدينة ، ومن حواليه كثير من اليهود الذين بإمكانه أن يغريهم بنقض العهد الذي بينهم وبين الرسول ، ويقوم (بالاتفاق معهم) بهجوم مفاجيء كاسح على المسلمين داخل المدينة .

ولهذا قرر النبي ﷺ التخلص من هذا العدو اللدود ، فانتدب لقتله محمد بن مسلمة الأنصاري (١) مع جماعة من الأنصار قاموا بقتله خارج حصنه بضواحي المدينة ، كما هو مفصل في أمهات التاريخ .

استكانة اليهود

وبهذا المواقف الحازمة التي اتخذها الرسول ﷺ إزاء استهتار بني قينقاع بالعهود وعبث كعب بن الأشرف بالمواثيق تأكد اليهود ان الرسول لن يتوانى في اللجوء الى قوة حين لايجدي النصح لمن يريد العبث بالأمن وإثارة القلاقل وعدم احترام العهود والمواثيق .

وبقتل كعب بن الأشرف أسرعت الافاعي ترتجف إلى جحورها وصار لدى المسلمين مايشبه اليقين بأن اليهود لن يخاطروا بأنفسهم (في ذلك الظرف على الاقل) لإيذاء المسلمين أو ممالأة المشركين ضدهم.

---

(١) هو محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي ، من أجلاء الصحابة ، ومن الأمراء المشهورين ، شهد بدراً وكان ممن ثبت يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المعارك كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك ، وكان عمر بن الخطاب يعتمد عليه في مراقبة الولاة والتفتيش عليهم ، اعتزل الفتنة أيام عليّ ولم ينضم إلى أي من الجانبين ، مات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٤٣ هـ

وبهذا استقرت الأحوال الداخلية فى المدينة (نوعاً ما) وانطوى اليهود على أنفسهم ولم يحركوا ساكناً لقتل طاغيتهم (كعب بن الأشرف) بل لزموا الهدوء ، وتظاهروا بأنهم عند عهدهم .

وهنا تفرغ النبى لمواجهة الأحداث الخطيرة التى توقع حدوثها خارج المدينة ، من جانب الأعراب والمشركين وخاصة قريشاً الذين تأكد للمسلمين أنهم سيقومون بحرب واسعة النطاق ضدهم انتقاماً لما أصاب قريشاً فى بدر .

وفعلاً حدثت هذه الحرب المنتظرة ، فغزت قريش الباغية ، محمدا ﷺ فى عقر داره ، بجيش بلغ ثلاثة آلاف مقاتل ، واشتبك الشرك مع التوحيد فى معركة طاحنة ، دارت فى ضواحى المدينة ، وهى معركة أحد التى نحن بصددها .

النشاط العسكري قبل موقعة أحد

وفيما بين معركة بدر وموقعة أحد ، حدثت مناوشات عسكرية بين المسلمين من جهة وبين قريش وبعض اليهود ومشركى العرب من جهة أُخرى.

ولم يكن القرشيون والاعراب واليهود فى هذه المناوشات جبهة واحدة، وإنما كانت مناوشات متفرقة أكثرها يأتى من ناحية المسلمين ، الذين كانوا أبسط الفريقين وأسرعهم لمباغتة هؤلاء الأعداء وضربهم فى أماكنهم قبل أن يتحركوا للعدوان .

والنشاط العسكرى الذى حدث قبل معركة أُحد هو أشبه بدوريات عسكرية قام بها المسلمون ، أى أنه لم تدر فى تلك الفترة مايمكن تسميته بمعارك التحم فيها الفريقان .

دوريات المسلمين

ويمكن تلخيص الأعمال العسكرية التي قام بها المسلمون بين معركة بدر وأُحُد كما يلي :

١ — **حصار بني قينقاع** : قام المسلمون بحصار يهود بني قينقاع في حصونهم داخل المدينة ، وكان ذلك في أوائل شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وكانت نتيجة هذا الحصار استسلام بني قينقاع ، ثم إجلاؤهم عن المدينة ، وقد تقدم تفصيل ذلك .

٢ — **قتل (كعب بن الأشرف)** وقد تولى قتله محمد بن مسلمة الأنصاري مع جماعة من الأنصار كما تقدم تفصيل ذلك .

٣ — **غزوة بني سليم**[1] : وهي دورية قتال قادها النبي ﷺ إلى منازل بني سليم وغطفان[2] الواقعة في قرقرة الكدر[3] وهي منطقة تقع على الطريق التجارية الشرقية الحيوية بين مكة والشام .

وسبب القيام بهذه الدورية[4] هو أن الرسول ﷺ بلغه أن قبائل

---

(١) سليم (بضم أوله وفتح ثانيه) قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان من العدنانية ، وهي من قبائل مضر الشهيرة . تقع منازل هذه القبيلة في عالية نجد . وقد تفرعت هذه القبيلة إلى عدة عشائر وبطون ملأت السهل والجبل . ويطلق اسم (سليم) على عدة قبائل غير عدنانية ، ومن هذه القبائل : قبيلة سليم من جذام من القحطانية . وقبيلة (سليم) بطن من المردان ، من عدة من شمر القحطانية . وقبيلة من بني مالك من جهينة ، وقد انتشرت بطون هذه القبيلة العظيمة في أفريقيا والشام والعراق . ولا تزال عدة قبائل في العراق والسودان والأردن تسمى بهذا الاسم (سليم) حتى هذا اليوم .

(٢) غطفان (بفتح أوله وثانيه) بن سعد ، قبيلة يمانية عظيمة من كهلان ، من القحطانية ، وهم بنو غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام . نزحت هذه القبيلة من اليمن واستوطنت نجد بجوار بني سليم .

(٣) قرقرة الكدر (بضم الكاف وسكون الدال) ماء لبني سليم بينه وبين المدينة ثمانية مراحل .

(٤) الدورية جماعة من المحاربين إما للاستطلاع أو للقتال .

غطفان وسليم قد كونت اتحاداً فيما بينها ، وأخذت في التحشد لغزو المدينة ، فجرّد ﷺ هذه الحملة التأديبية التي بلغت قوتها مائتي راكب وقد باغت النبي ﷺ هذه القبائل المحتشدة في عُقْر دارها ، حيث وصل بقواته السريعة إلى مكان التحشد وداهمهم على حين غفلة منهم ففروا بمجرد وصول المسلمين ، بعد أن تركوا في الوادي خمسمائة بعير استولى عليها جيش المدينة ، وقد قسم النبي هذه الغنيمة أربعة أخماسها بين أفراد الجيش ، فخص كل رجل منهم بعيران ، وقد بقي الرسول ﷺ بجيشه في ديار سليم وغطفان ثلاثة أيام . لإظهار هيبة المسلمين ولإرهاب العدو ، ثم عاد أدراجه إلى المدينة دون أن يلقى حرباً ، وكانت هذه الدورية في أواخر شهر شوال من السنة الثانية للهجرة .

٤ – غزوة السويق

وهي قوة مطاردة ، ألّفها الرسول ﷺ بسرعة ، لمطاردة القوة القرشية التي أغارت بقيادة أبي سفيان بن حرب[١] على المدينة ليلا خلسة .

وتفصيل ذلك أن أبا سفيان عند رجوعه من بدر نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة ، حتى يغزو محمداً ، ولذلك جهز مائتي راكب من قريش وقادهم إلى منطقة المدينة ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة بهذه القوة ، وإنما قام بأعمال هي أشبه بأعمال القرصنة ، حيث عسكر بقوته على مسافة بعيدة من المدينة ، ثم دخل إليها تحت جنح الظلام مستخفياً

(١) تقدمة ترجمة أبي سفيان في كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

ونزل على (سلام بن مشكم) اليهودى سيد بنى النضير ، فأواه الخائن وبدله على عورات المسلمين ، ثم رجع إلى معسكره .

ولما رجع إلى قومه أرسل منهم مفرزة(١) صغيرة فأغارت على ناحية بأطراف المدينة ، يقال لها (العريض) ليقوموا بأعمال التخريب ، وفعلاً قامت هذه المفرزة المتسللة بحرق مجموعة من النخيل وقتلت رجلين من المسلمين كانا يعملان هناك ، ثم هربت هذه المفرزة القرشية إلي معسكرها بالوادى .

وفوراً علم المسلمون بعملية التسلل هذه فسارع الرسول ﷺ ، (على رأس قوة من أصحابه) لمطاردة أبى سفيان وجد فى مطاردته ، ولكن أبا سفيان تمكن من الإفلات ، لأن حملته كانت من الفرسان الذين ألقوا بتموينااتهم (٢) من الطعام أثناء هربهم، ليكونوا أسرع على الهروب.

وقد وصل الرسول فى مطارته لأبى سفيان إلي منطقة قرقرة الكدر ، ثم عاد الى المدينة دون أن يلقى حرباً ، وكانت هذه الحركة فى شهر ذى الحجة من السنة الثانية .

٥ - غزوة ذي أمر

وهى أكبر حملة عسكرية يقودها الرسول ﷺ خارج المدينة قبل معركة أُحُد ، فقد بلغ عدد رجال هذه الحملة أربعمائة وخمسين مقاتلاً مابين راكب وراجل .

---

(١) المفرزة اصطلاح عسكرى معناه جماعة قليلة خفيفة من المقاتلين .

(٢) كانت المواد التموينية لقريش يومها من السويق ، ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق على اسم هذه المادة التى تخففوا من حملها بإلقائها للإمعان فى الهرب

وسبب هذه الحملة أن استخبارات (١) المدينة ، نقلت إلى القيادة فيها، أن جمعاً كبيراً من بنى ثعلبة (٢) ومحارب (٣) احتشدوا بذى أمر . وأن هدفهم الإغارة على أطراف المدينة .

فسارع الرسول ﷺ كعادته في إرهاب الأعراب ، فجهز هذه الحملة الكبيرة ، وقادها بنفسه ، لضرب هؤلاء الأعراب في ديارهم قبل أن يتحركوا .

وفى أثناء سير الرسول ﷺ بجيشه نحو العدو ، ألقى جنوده القبض على رجل من بنى ثعلبة المقصودين بالحملة فأُدخل علي الرسول ﷺ فدعاه الرسول إلي الإسلام فأسلم ، وضمه الرسول الي مفرزة بلال .

ثم قال الرجل (واسمه حباب) للنبي ﷺ إنهم (أى بنى ثعلبة ومحارب) لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك إليهم لهربوا في رؤوس الجبال ، ثم صار هذا الرجل دليلاً لجيش النبى إلى أرض العدو .

وقبل أن يصل الرسول إلي مكان تجمع تلك القبائل ، بلغهم خبر حملة المدينة فسارعوا إلي الهرب ، وتفرقوا في رؤوس الجبال ، وقد كان قائد هذا التجمع رجلاً من بنى محارب اسمه (دعثور بن الحرث الغطفانى) .

وقد وصل الرسول ﷺ بجيشه الى مكان التجمع وهو الماء المسمى (بذى أمر) ولم يعد ﷺ إلي المدينة إلا بعد أن أقام هناك بجيشه

---

(١) الاستخبارات: الحصول على المعلومات عن نوايا العدو بالطرق المختلفة ، وقسم الاستخبارات يطلق عليه في بعض الدول قسم الأمن ، وفي بعضها ، قسم المباحث .

(٢) هؤلاء هم بنو ثعلبة بن أمية فخذ من غطفان الذين تقدمت ترجمتهم وثعلبة اسم لكثير من قبائل العرب ومنها قبيلة ثعلبة من كهلان من القحطانية .

(٣) محارب .. بطن من هيت بن بهثة من سليم من العدنانية ، وهى قبائل نجد .

شهراً كاملاً ، وذلك ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ويرهب من تحدثه نفسه بالاستخفاف بهم . وقد كان القيام بهذه الحملة فى شهر محرم من السنة الثالثة للهجرة .

محاولة اغتيال النبى

وقد حاول قائد قبائل بنى ثعلبة ومحارب الذين فروا هرباً من جيش المسلمين . حاول اغتيال النبى ﷺ وهو معسكر بذى أمر (مكان تجمع القبائل) .

وتفصيل ذلك أن مطراً أصاب الجيش الإسلامى ، ابتلت على أثره ثياب النبى ﷺ وثياب أصحابه فنزع الرسول ﷺ ثوبيه الوحيدين اللذين كانا معه ، ونشرهما على شجرة ليجفا ، ثم اضطجع ، وانشغل بقية الجند كذلك بسبب ما أصابهم من المطر ، وفى هذا الظرف بالذات تسلل (دعثور قائد قبائل العدو) لاغتيال النبى ﷺ مغتنماً فرصة انشغال أصحابه بأنفسهم ، وكان دعثور هذا شجاعاً فاتكاً ، وقد حرضه قومه على قتل النبى ، فقال لهم قتلنى الله إن لم أقتل محمداً .

وقد نجح دعثور هذا فى التسلل (دون أن يشعر به أحد) حتى وصل إلى النبى الذى لم يشعر إلا ودعثور قائماً على رأسه بالسيف مصلتاً يريد الفتك به . والنبى ﷺ كان أعزلاً لم يكن فى يده أى سلاح .

ثم قال دعثور للنبى ﷺ :

من يمنعك منى الآن ؟؟ .

فقال له النبى ﷺ :

الله .

وبينما المحاورة تدور هكذا ، إذ وقع دعثور على ظهره فجأة ، فسقط السيف من يده . فأخذه النبي ﷺ ثم قال لدعثور (والسيف مصلت على رأسه) :

« من يمنعك مني » ؟؟

فقال .. لا أحد . ثم أعلن إسلامه فوراً . فأعاد الرسول ﷺ إليه سيفه ، وتوجه إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وأخبرهم أن الذى جعله يقع على الأرض حتى سقط السيف من يده : رجل طويل دفع فى صدره ، وقال لهم لقد علمت أنه ملك فأسلمت .

وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية أن الذى طرح دعثور على الأرض حتى سقط السيف من يده . هو جبريل الذى دفع فى صدره حتى سقط على الأرض . وكانت هذه ثانى محاولة لاغتيال النبي ﷺ .

وقد أنزل الله تعالى فى هذه الحادثة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (١) .

٦ ــ غزوة بحران (٢)

وهى دورية قتال كبيرة قوامها ثلاثمائة مقاتل ، قادها الرسول ﷺ بنفسه إلى ديار بنى سُلَيم الذين بلغه أنهم يقومون بحشد قوات كبيرة من قبائل تلك المنطقة لغزو المدينة .

---

(١) المائدة : ١١ :

(٢) بحران (بفتح الباء وضمها) . قال فى السيرة الحلبية ، موضع بالحجاز معروف بينه وبين المدينة ثمانية برد

فأسرع إليهم بجيشه ، وحث السير ليباغتهم ، قبل أن يتحركوا (كما هي عادته) في تأديب الأعراب .

ولكن بني سليم لما بلغهم أن الرسول ﷺ قد تحرك بجيشه نحوهم ، تفرقوا في الجبال ولم يثبتوا للقاء ، ولكن الرسول (إمعاناً في إرهاباهم) جاس بدوريته خلال ديارهم ، ولم يرحل عنها إلا بعد أن أقام بها شهرين ، وقد كان القيام بهذه الحملة في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة .

٧ - سرية زيد بن حارثة

غير أن أهم هذه المناوشات (في تلك الفترة) هي تلك الحملة العسكرية الموفقة التي قادها زيد بن حارثة الكلبي [١] بعد سبعة أشهر من معركة بدر .

وتفصيل ذلك أن قريشاً بعد هزيمتهم في معركة بدر وسيطرة المسلمين على منطقة يثرب حتى البحر غرباً أصبحوا لا يأمنون الطريق الغربية التي كانوا يمرون عبرها بتجارتهم من الشام إلي مكة والتي تمر بالقرب من يثرب .

وقد كانت هذه الطريق أيسر واقرب طريق بالنسبة لسير القوافل من مكة إلي الشام وبالعكس ، فكان المكيون (عبر مئات السنين) يمرون بهذا الطريق بقوافلهم ، فيدخلون الشام عن طريق الحدود الأردنية الحالية ، وهي أول حدود الشام القديمة بالنسبة لجزيزة العرب ، حيث كان (في ذلك الوقت) كل من سورية والأردن وفلسطين ولبنان يُعبَر

---

(١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

عنه بالشام ، حتى جاءت الحرب العالمية الثانية فحصلت التجزئة الحالية .

ولما أصبحت هذه الطريق الغربية تحت سيطرة المسلمين (تقريباً) ، قرر القرشيون أن لاتمر قوافلهم مرة أخرى عبر هذا الطريق ، خوف وقوعها فى قبضة المسلمين ، وذلك على أثر مؤتمر عقدوه فى مكة ، قال فيه صفوان بن أمية [1] لقريش (وهو من كبار تجارها وقادتها) .

إن محمداً وصحبه عوروا علينا متجرنا (يعنى بسيطرتهم علىالطريق الغربية) ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لايبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعوهم ، ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ، وإن أقمنا فى ديارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء .

وبعد مناقشات ومداولات تم الاتفاق بين زعماء قريش على أن تكون رحلاتهم التجارية الى الشام عبر الطريق الشرقية وهى طريق طويلة جداً تمر بأرض نجد ثم العراق حتى الشام ، وهى أطول وأكثر صعوبة من الطريق الغربية ، ولكنهم قرروا سلوكها ظنا منهم أنها أكثر وأضمن سلامة من الطريق القديمة التى سيطر عليها المسلمون .

ولما كانت قريش تجهل هذه الطريق الجديدة كل الجهل ، استأجرت رجلا نجدياً من بنى بكر بن وائل (اسمه فرات بن حيان) [2] ليدلهم على الطريق .

---

(١) تقدمة ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) .

(١) هو فرات بن ثعلبة اليشكرى ثم العجلى حليف بنى سهم ، أسسرته ، دورية زيد بن حارثة عند اسـتيلائها على عير قريش بأرض نجد ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقد =

وفعلاً سافرت أول قافلة قرشية إلى الشام عبر هذا الطريق الجديد ، وقد سافرت هذه القافلة بقيادة صفوان بن أمية : يرافقه أبو سفيان ابن حرب وغيره من قادة قريش .

استخبارات الرسول تكشف القافلة

وقد علم أحد رجال استخبارات الجيش الإسلامى خبر سفر هذه القافلة : فسارع إلى إبلاغ القائد الأعلى النبى ﷺ ذلك ، وأطلعه على تفاصيل الخطة الجديدة التى وضعتها قريش لمعاودة تجارتها مع الشام .

والذى نقل تفاصيل الخطة إلى الرسول ﷺ هوسليط بن النعمان[1] وذلك أنه حضر مجلساً للشراب فى المدينة (وذلك قبل أن تحرّم الخمر) ضم هذا المجلس (فى حى اليهود) كنانة بن أبى الحقيق اليهودى ، ونعيم بن مسعود[2] وسليط بن النعمان هذا ، وكان نعيم على دين قومه ،

= ذكره ابن سعد فى طبقة أهل الخندق ، وكان ممن هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مدحه فقبل منه ، وقد أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً باليمامة تغل أربعة آلاف ، وذكر ابن حبان أن فرات هذا من أعرف الناس بالطرق ، ولذلك اختارته قريش ليكون دليلها فى طريقها الجديد :

(١) لم أعثر له على ترجمة :

(٢) هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعى ، صحابى جليل ، كان فى الجاهلية نديم يهود بنى قريظة ، أسلم فى إحدى الليالى التى كانت الأحزاب (بقيادة أبى سفيان) تحاصر فيها المدينة وذلك سنة ٥ هـ وقد كان نعيم هذا يعمل ضد النبى (ضمن جيش الأحزاب) فهداه الله للإسلام فأسلم ثم اتصل بالنبى (دون أن يعلم اليهود أو الأحزاب) بإسلامه ، ووضع نفسه فى خدمة الرسول ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فقام رضى الله عنه بدور هام فى التفرقة بين قادة الأحزاب وقادة بنى قريظة مما كان له أكبر الأثر فى تنازعهم وعدم ثقتهم ببعضهم البعض الأمر الذى جعل أبا سفيان قائد الأحزاب : يسارع بالانسحاب وفك =

ولما أخذت الخمر من رأس نعيم تحدث بالتفصيل عن قضية العير وسلوك القرشيين بها إلى الشام عبر الطريق الشرقية ، فسارع سليط ابن النعمان وأبلغ الرسول ﷺ ذلك .

مصادرة العير

فجهز الرسول ﷺ على الفور حملة قوامها مائة راكب أعطى قيادتها لزيد بن حارثة الكلبي وأمره بالتوجه نحو الطريق الشرقية الجديدة التي سلكتها قافلة قريش ، والتربص بهذه القافلة والاستيلاء عليها .

فاتجه زيد بحملته مسرعاً نحو نجد يتحسس خبر العير .

وإذا كان أبو سفيان قد نجحت مخابراته في اكتشاف حملة المسلمين التي خرجت من المدينة بقيادة الرسول ، للاستيلاء على عير قريش قبل سبعة أشهر ، ونجا بهذه العير التي نشبت – بعد إفلاتها – معركة بدر الكبرى ، فإن مخابرات العير هذه المرة لم تنجح في اكتشاف حملة زيد بن حارثة ، التي بوغتت بها مباغتة كاملة وأخذت على حين غرة ، ولعلها ما كانت تتوقع أن دوريات المسلمين العسكرية سيصل نشاطها إلى ذلك المكان البعيد .

ففي مكان بنجد يقال له قردة (بالتحريك) [1] دهم زيد بن حارثة

= الحصار عن المدينة وترك بني قريظة يلقون (على أيدي المسلمين) جزاء خيانتهم العظمى ، كما سنفصل ذلك في كتابنا القادم (غزوة الخندق وبني قريظة) إن شاء الله ; قتل نعيم بن مسعود في أول خلافة علي في وقعة الجمل ، وقيل مات أيام عثمان .

(١) قال البغدادي في كتابه مراصد الاطلاع .. قردة (بالتحريك) ما أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة مبني نعامة :: والرمة (بضم أوله مع التشديد) واد معروف بعالية =

عير قريش وهى نازلة على الماء فلم يكن من صفوان بن أمية وأبى سفيان ومن معهما من حرس القافلة إلا ينجوا بجلدهم ، ففروا وتركوا العير دون أن يبدوا أية مقاومة .

فاستولت دورية المسلمين على تلك العير دون قتال ، ووقع فى أسر الدورية ثلاثة من حرس القافلة ، منهم دليلها (فرات بن حيان) .

وقد كانت الغنيمة فى الغزوة عظيمة جداً ، وكان أكثرها من الفضة والآنية ، وقد قدرت قيمتها (على ماذكره ابن كثير) بمائة ألف ، قسم الرسول ﷺ أربعة أخماسها على أفراد الحملة ، واحتفظ بخمس واحد للمصلحة العامة .

وبمصادرة هذه العير ، اشتد قلق قريش من المسلمين ، وازداد حقدها وحنقها عليهم وازدادت تصميماً على غزوهم فى ديارهم.

= نجد ، وقال ابن دريد ، الرمة قاع عظيم بنجد تنصب فيه جملة أودية ، وقال الأصمعى بطن الرمة واد عظيم يدفع عن يمين الفلجة الدثينة .

الفصل الثاني

* رسم الخطط – الاستعدادات
* الاستحضارات – التحركات
* تحديد مكان المعركة .

أسباب المعركة

نشبت هذه المعركة الهائلة بين المسلمين والمشركين يوم السبت الموافق الخامس عشر من شهر شوال سنة ثلاثة من الهجرة .

وقد كانت هذه المعركة ثانى معركة دامية طاحنة يخوضها المسلمون ضد مشركى مكة ، وهى أعظم من معركة بدر (حيث كثرة الاستعداد وضخامة القوات التى اشتبكت فيها).

وسبب هذه المعركة ، هو أن قريشاً لما هزمت فى معركة بدر ، وفتك المسلمون بقادتها وزعمائها ، وهدموا هيبتها فى نفوس العرب ، صممت على الانتقام من المسلمين ، وقررت (استعادة لهيبتها) مهاجمة المسلمين فى عقر دارهم .

فقد مشى زعماء مكة بعضهم إلى بعض وتذاكروا فيما لحق بهم من خزى وعار نتيجة الهزيمة التى نزلت بهم واتفقوا فيما بينهم على أنه لايمكن محو هذا العار إلا بغزو المسـلمين فى ديارهم ، وأن هذا هو السبيل

الوحيد لاستعادة مركزهم الممتاز الذى فقدوه بين سكان الجزيرة على أثر هزيمتهم فى موقعة بدر .

الاستعداد للمعركة

وبينما كان المسلمون (عقب معركة بدر مباشرة) يقومون بحركاتهم العسكرية وتنظيماتهم الاجتماعية ، (داخل المدينة ، وخارجها) لتوطيد سلطانهم وتأمين قاعدة دعوتهم (المدينة) ، كانت قريش من جانبها تقوم باستعدادات واسعة النطاق لخوض المعركة الفاصلة التى قررت خوضها مع المسلمين فى ديارهم .

وقد كان عكرمة بن أبى جهل [1] وصفوان بن أمية ، وأبو سفيان ابن حرب ، وعبد الله بن أبى ربيعة [2] ، أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة ، فقد كان هؤلاء هم المحرك الدائم لقبائل قريش ، بل ولمن جاورها من قبائل كنانة وثقيف ، وتهييجهم ضد النبى وتحريضهم على الاشتراك فى حربه .

ميزانية الحملة

وكان أول هذه الاستعدادات العملية ، هو وضع ميزانية ضخمة لتمويل هذا الغزو الذى قررت مكة القيام به إلى أرض يثرب لضرب المسلمين فيها .

---

(١) تقدمت ترجمته فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى) :

(٢) لم أعثر له على ترجمة إلا أن ابن برهان الدين ذكر فى السيرة أنه أسلم :

لقد اجتمع زعماء قريش فى برلمانهم (دار الندوة) للتشاور فى الأمر ، وبعد مناقشات ومداولات ، وافقوا بالإجماع على اقتراح قدمه كل من عكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبى ربيعة ، يقضى برصد خمسين ألف دينار ذهباً (وهو ما يساوى اليوم حوالى مليون ريال سعودى) كميزانية لذلك الغزو ، كما وافق (برلمان قريش) بالإجماع على أن يكون هذا الرصيد من أموال العير المشؤومة التى نجا بها أبو سفيان من قبضة جيش المدينة قبل معركة بدر بقليل .

فقد احتجزت قريش تلك العير وأوقفتها فى دار الندوة ولم تعط لأربابها شيئاً منها حتى اتخذت قريش ذلك القرار الذى يقضى برصد ميزانية الغزو من أموال هذه العير [1] .

وقد أنزل الله تعالى فى تدبيرات قريش الحربية هذه قوله :

﴿ إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون ﴾ [2] .

المتطوعون فى الغزو

كما وافق برلمان قريش على (اقتراح قدّمه صفوان بن أمية) يقضى بفتح باب التطوع لغير القرشيين من القبائل المجاورة للمشاركة فى غزو المسلمين ، على أن ترسل قريش مندوبين للقيام بهذه المهمة ، لتشجيع قبائل كنانة على هذا التطوع .

---

(١) انظر السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣ :

(٢) الأنفال : ٣٦ .

وقد اختارت قريش لهذه المهمة شاعرين من قبيلة (جُمح القرشية) أحدهما مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح (بضم الجم وفتح الميم)(١) والثانى أبو عزة (عمرو بن عبد الله الجمحى) (٢) أما أبو عزة فقد استدعاه صفوان بن أمية (وكان من أغنياء قريش) وطلب منه القيام بمهمة تحريض قبائل كنانة على التطوع لحرب محمد قائلاً :

(ياأبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنّا بلسانك ، فقال : إن محمداً قد من على فلا أريد أن أظاهر عليه).

فأغراه صفوان قائلاً:

(فأعنّا ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ماأصابهن من عسر ويسر) ، فانصاع أبو عزة لإغراء صفوان .

فخرج الشاعران إلى قبائل كنانة يحضانها على الاشتراك مع قريش فى حرب النبى ﷺ .

وكان مما قاله مسافع يحرض بنى مالك من كنانة ، ناشداً إياهم الرحم والجوار :

ياmال ، مال الحسب المقدم — أنشد ذا القربى وذا التذمم

من كان ذا رحم ومن لم يرحم — الحلف وسط البلد المحرم

عند حطيم الكعبة المعظم

---

(١) قال فى السيرة الحلبية إن مسافعا هذا لايعلم له إسلام ، لكن فى كلام ابن عبد البر : مسافع بن عياض بن صخر القرشى التيمى له صحبة ، وكان شاعراً .

(٢) أبو عزة هذا أسره المسلمون فى غزوة بدر ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم من عليه لفقره ولكثرة بناته ، على أن لايظاهر عليه أحداً ، ولكنه غدر ، فأسر مرة أخرى فى معركة أحد فضربت عنقه .

ومما قاله أبو عزة داعياً كنانة إلى محاربة المسلمين :

إيهًا بنى عبد مناة الرِّزام ... أنتم حماة وأبوكم حام

وتعدونى نصركم بعد العام ... لاتسلمونى لايحل إسلام

وقد نجح هذا الشاعران فى مهمتهما حيث أقنعا كثيراً من أفراد قبائل كنانة المجاورة لقريش بالتطوع فى جيش مكة لغزو المسلمين .

مبلغ قوة قريش الغازية

وقد بلغت قوة قريش فى هذه الحملة ثلاثة آلاف مقاتل . منهم : ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها وأحابيشها (١) ومائة من قبائل كنانة المتطوعين .

أما سلاح النقليات فقد كان فى هذه الحملة ثلاثة آلاف بعير ومعهم من سلاح الفرسان مائتا فرس جنَّبوها حتى أُحُد أما سلاح الوقاية فقد كان لهم منه سبعمائة درع .

توزيع القيادة

وقد انتخبت قريش أبا سفيان بن حرب قائداً عاماً للجيش كما أعطت قيادة سلاح الفرسان لخالد بن الوليد (٢) بمعاونة عكرمة بن أبى جهل .

---

(١) الاحابيش قبائل غير قرشية ، وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، حالفوا قريشاً ، وسبب تسميتهم بالاحابيش هو أنهم اجتمعوا عند جبل اسمه حبشي يقع أسفل مكة ، وتحالفوا عنده على أنهم مع قريش يداً واحدة على غيرهم ماسجى ليل ووضح نهار وما رَسَا حبشى مكانه ، فسموا أحابيش باسم الجبل

(٢) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، سيف الله ، القائد المظفر الشهير والصحابى الفاتح الكبير، كان من أشرف قريش فى الجاهلية ، يلى أعنة الخيل فى =

كما أسندت مهمة حمل اللواء (وهو علم الجيش) إلى بنى عبد الدار ابن قصى .

وكان حامل اللواء عند الصدمة الأولى طلحة بن أبى طلحة العبدرى الذى كان أول قتيل من حملة اللواء الذين أبادهم المسلمون فى أول المعركة عن بكرة أبيهم حتى سقط لواء قريش على الأرض ونزلت بهم الهزيمة .

نساء القادة فى الجيش

وزيادة من قريش فى التصميم على القتال ، ولئلا يحدّثَ أحدٌ منهم نفسه بالفرار من المعركة استصحب قادة قريش معهم نساءهم إلى المعركة .

وكان عدد النساء اللواتى خرجن مع الجيش إلى أُحُد خمس عشرة امرأة .

فخرج أبو سفيان بن حرب بزوجته هند [1] بنت عتبة بن ربيعة .

= الحروب لها ، شهد مع المشركين حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية أسلم هو وعمرو ابن العاص قبل فتح مكة سنة ٧ هـ ، فسر رسول الله بإسلامه وولاه قيادة الخيل ، وجهه أبو بكر الصديق لمحاربة المرتدين فى نجد ، فأخضعهم بعد أن قتل مسيلمة الكذاب ، ثم توجه إلى العراق سنة ١٢ هـ فقام بفتح جانب عظيم من العراق ، ثم توجه إلى الشام (بأمر الخليفة أبى بكر) وتولى قيادة الجيوش فيها لحرب الروم ، عزله عمر بعد أن تولى الخلافة وولى أبا عبيدة بن الجراح مكانه ، فلم يثن ذلك من عزيمته بل ظل يقاتل بإخلاص بين يدى أبى عبيدة إلى أن تم لهما الفتح عام ١٤ هـ ، قال فيه أبو بكر الصديق « عجزت النساء أن يلدن مثل خالد » روى البخارى ومسلم له ١٨ حديثاً ، توفى رضى الله عنه بحمص (فى سورية) عام ٢١ هـ :

(١) هى هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابية ، قرشية ، عالية الشهرة ، وهى أم الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، تزوجت أبا سفيان بعد أن فارقها =

وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته : أم حكيم [1] بنت الحارث ابن هشام بن المغيرة .

وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة ، بزوجته فاطمة بنت الوليد [2] ابن المغيرة .

= زوجها الأول الفاكهة بن المغيرة المخزومي ، كانت فصيحة جريئة صاحبة رأي وحزم ، ومن كلامها المأثور « المرأة غل لابد للعنق منه فانظر من تضعه في عنقك » أسلمت يوم فتح مكة ، وكان النبي قد أهدر دمها فيما أهدر ، فجاءته مع بعض نساء قريش إلى الأبطح ، فأعلنت إسلامها ، فرحب بها الرسول ، وعندما أخذ الرسول البيعة على النساء وكانت بينهن قال (ضمن شروط البيعة) وأن لا يسرقن ولا يزنين ، فقالت هند مستغربه (وهل تزني الحرة أو تسرق يا رسول الله ؟؟) ولما قال « ولا يقتلن أولادهن » قالت هند : (ربيناهم صغاراً وقتلتهم أنت بيوم بدر كباراً) وكان لها صنم تعبده في بيتها : فلما أسلمت عادت إليه وأخذت تضربه بالقدوم حتى حطمته وهي تقول : كنا منك في غرور ، كانت هند من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ، شهدت هند معركة اليرموك وكانت تحرض على قتال الروم ، وكانت طموحة للغاية ، نظر بعض العقلاء إلى ابنها معاوية وهو معها ، فقال لها : إن عاش ساد قومه ، فقالت ثكلته إن لم يسد إلا قومه ، توفيت هند سنة ٣٦ هـ :

(١) هي أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية ، أسلمت بعد فتح مكة مباشرة ، وكان زوجها عكرمة ممن أهدر الرسول دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، فهرب زوجها إلى اليمن ، فأخذت له أماناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت إليه وأحضرته معها ، فأسلم وحسن إسلامه ، ولما استشهد زوجها في اليرموك تزوجها بعده خالد بن سعيد ابن العاص قائد إحدى كتائب جيش الشام ، وهم في الميدان ، ولما كانت معركة (مرج الصفراء بالشام) أراد خالد أن يدخل بها والمعركة على الأبواب ، فقالت له : لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع ، فقال رضي الله عنه إن نفسي تحدثني أني أقتل ، قالت فدونك ، فأعرس بها ثم أقبلت جيوش الروم صبيحة تلك الليلة ، فنشبت المعركة بين الروم والمسلمين فاقتتلوا على النهر فاستشهد زوجها خالد بن سعيد كما استشهدت هي أيضاً يوم ذلك بعد أن قتلت (بعمود الفسطاط الذي أعرس بها خالد فيه) سبعة من الرومان ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة :

(٢) هي فاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد بن الوليد ، أسلمت يوم الفتح وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابية كريمة كانت عاقلة ذات رأي ، وكان =

وخرج صفوان بن أمية بزوجته برزة (١) بنت مسعود بن عمر الثقفية.

وخرج عمرو بن العاص بزوجته ريطة (٢) بنت منبه بن الحجاج وخرج طلحة بن أبى طلحة بسلاقة (٣) بنت سعد بن شهيد الأنصارية وخرجت ، خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك مع ابنها أبى عزيز ابن عمير ، وهى أم مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين رضى الله عنه .

وخرجت عمرة بنت علقمة ، إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة من كنانة .

التحريض على اغتيال حمزة

وقبل خروج الجيش من مكة ، دعا جبير بن مطعم (٤) غلاماً

= أخوها خالد (على عظم منزلته العسكرية) يستشيرها فى بعض أمره ، خرجت مع زوجها الحارث الى الشام فى الغزو، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً

(١) هى برزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى ، أسلمت مع زوجها صفوان بن أمية عام الفتح .

(٢) هى ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمية ، وهى والدة عابد الصحابة (عبد الله بن عمرو بن العاص) أسلمت بعد زوجها ، وذلك يوم الفتح على ماذكره الواقدى ، وكانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) هى سلاقة بنت سعد الانصارية الأوسية والدة عثمان بن طلحة ، قتل عنها زوجها (قائد كتيبة لواء المشركين يوم أحد) صحابية أسلمت عام الفتح ، وهى التى كان عندها مفتاح الكعبة يوم فتح الرسول مكة .

(٤) جبير بن مطعم (بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى كان من زعماء قريش فى الجاهلية ، أسلم وحسن إسلامه ، فهو صحابى جليل، وكان من كبار علماء قريش وسادتهم ، وهو من أعرف قريش بأنساب العرب ، =

لـه حبشياً اسمه (وحشى)[1] كان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها، دعاه وطلب منه أن يخرج مع الجيش ، وطلب منه أن يترصد حمزة ابن عبد المطلب ويقتلاه بالحربة ، وقال له :

إن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (وكان حمزة هو الذى قتله يوم بدر) فأنت عتيق ، فوعده ذلك ، وفعلا قام الحبشى باغتيال سيد الشهداء حمزة رضى الله عنه والمعركة على أشدها كما سيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله .

جيش مكة يتحرك نحو المدينة

وبعد أن أتمت قريش استحضارات الحركة ، وأتمت كامل تجهيزاتها أخذت فى التحرك بجيشها الضخم نحو المدينة

وكان جيش مكة هذه المرة على غاية من التنظيم والاستعداد ، وقد تجنب قادة مكة الاختلاف هذه المرة فلم يحدث أى شقاق فى الرأي حتى انتهت المعركة .

نشاط الاستخبارات النبوية

وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبى ﷺ) قد رجع من المدينة بعد إن تم إطلاق سراحه من الأسر بالفداء الذى دفعه عن نفسه ، كما فصلنا ذلك فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

= فقد عده الجاحظ فى النسابين ، وفى الاصابة ، كان كانسب قريش لقريش والعرب قاطبة روى له البخارى ومسلم ستين حديثاً ، توفى رضى الله عنه عام تسعة وخمسين هـ

(١) هو وحشى بن حرب ، أبو دسمة ، من موالى بنى نوفل ، كان من أبطال الموالى فى الجاهلية ، صحابى أسلم مع وفد أهل الطائف ، شهد معركة اليرموك ، وشهد =

ولكنه بالرغم من عدم إسلامه آنذاك فقد كان مخلصاً لابن أخيه النبي ﷺ ، فكان يخشى عليه الغوائل ، وكان لذلك يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية .

ولما أتمت قريش تجهيزات جيشها وأخذ هذا الجيش فى التحرك أرسل من مكة رسالة مستعجلة ، مع أحد رجاله الأمناء ، ضمّن هذه الرسالة التفصيلات الكاملة عن حملة مكة ، فذكر فيها عدد القوات واليوم الذى خرجت فيه وغير ذلك مما يجب أن يعرفه الرسول ﷺ ، عن جيش عدوه .

كيف تلقى الرسول نبأ الغزو

وقد أسرع رسول العباس (وهو رجل من غِفار) بالرسالة وجدَّ فى السير ، حتى أنه قطع الطريق ما بين مكة والمدينة فى ثلاثة أيام ، مع أن قطعها (عادة) لايتم إلا فى عشرة أيام .

وقد سلم رسول العباس رسالته إلى النبي ﷺ وهو فى مسجد قبا [1] .

ولما كان الرسول ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فقد دفع الكتاب

= مع خالد بن الوليد حرب الردة ، وكان أحد اثنين قتلا مسيلمة الكذاب ، وكان يقول بعد ذلك ، قتلت بحربتى هذه خير الناس (يعنى حمزة) وشر الناس (يعنى مسيلمة الكذاب) مات وحشى بحمص عام خمسة وعشرين هـ .

(١) قبا (بضم القاف) ، قال فى مراصد الاطلاع : قرية قرب المدينة ، وهى مساكن بنى عمرو بن عوف من الأنصار ، على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، وفيها مسجد التقوى .

إلى أُبَيّ بن كعب[1] ليقرأه عليه ، وبعد أن عرف الرسول عليه السلام مضمون رسالة عمه العباس ، طلب من أبيّ بن كعب أن يكتم الخبر ، ولا يبوح لأحد منه بشيء .

استعداد المدينة للمعركة

ونهض ﷺ من فوره ، وعاد إلى المدينة . وأخذ في الاتصال بقادة المهاجرين والأنصار ، ليتداول معهم الأمر لمواجهة الموقف .

وكان ﷺ قد استدعى سيد الأنصار سعد بن الربيع وأطلعه على خبر رسالة العباس . فقال والله إني لأرجو أن يكون خيراً ، فاستكتمه إياه . فلما خرج رسول الله ﷺ من عند سعد ، قالت له امرأته ، ما قال لك رسول الله ؟؟ .

فقال لها لا أمّ لك وأنت وذاك ، فقالت قد سمعت ما قال لك ، وأخبرته بما أسرّ به إليه الرسول ﷺ فاسترجع سعد ، وأخذ بيد زوجته ولحق برسول الله ﷺ فأخبره خبرها ، وقال . يارسول الله ، إني خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد استكتمتني إياه فقال رسول الله ﷺ خلّ عنها .

---

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري النجاري ، سيد القراء ، صحابي جليل شهد بيعة العقبة الثانية ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ، ليهنك العلم أبا المنذر ، (إن الله أمرني أن أقرأ عليك) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسميه سيد المسلمين ، وكان أول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يعد من أصحاب الفتيا الستة ، كان عمر يسأله عن النوازل ويتحاكم إليه في المعضلات ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وسبعة وخمسين حديثاً ، مات كعب رضي الله عنه سنة ثلاثين هـ في عهد عثمان بن عفان :

حالة الطوارىء في المدينة

وبعد أن تأكد المسلمون من تحرك الجيش المكى نحوهم ، ظلوا متيقظين ، وظلت المدينة فى حالة استنفار عام ، على رجالها السلاح لايفارقهم ، حتى وهم فى أوقات الصلاة استعداداً للطوارىء.

وانتشر جند الإسلام حول مداخل المدينة يحرسونها ، خوفاً من أن يؤخذوا على غرة .

وانتخبت مفرزة من الانصار لحراسة رسول الله ﷺ في بيته ، وقد كان ضمن هذه المفرزة ثلاثة من سادات الانصار ، هم (سعد بن معاذ وأسيد بن حضير [1] وسعد بن عبادة) باتوا وعليهم السلاح فى المسجد على باب رسول الله ﷺ يحرسونه .

محاولة نبش قبر والدة الرسول

تابعت جيوش مكة سيرها نحو المدينة ، وقد سلكت الطريق الغربية المعتادة ، التى تمر بعسفان ثم خليص ، فالجحفة ، فرابغ ، فالأبواء ، فالمدينة [2] .

ولما وصل جيش مكة إلى الأبواء ، (وهو مكان دفنت فيه أم الرسول الأعظم ﷺ آمنة بنت وهب) [3] أشارت هند بنت عتبة

---

(١) تقدمت ترجمتهما فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

(٢) تقدم تحقيق وتحديد هذه الأماكن فى كتابنا (غزوة بدر الكبرى).

(٣) هى أم سيد الأنبياء ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب ، تزوجها عبد الله بن عبد المطلب ، وهى أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً ، أمها لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار القرشية ، توفيت أم سيد الأنبياء آمنة لست سنوات لمولد ابنها صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاتها بالأبواء =

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارىء ...

ان تاريخ امتنا الاسلامية ملىء بأعمال البطولات الخالدة التى يجب أن تكون معقد اعتزازنا وافتخارنا . وهذه الموسوعة – التى بين يديك – من المراجع التاريخية الثمينة فى العهد النبوى ، من حيث تنسيق الأحداث التاريخية وربط بعضها ببعض ربطاً دقيقاً محكماً وبأسلوب سهل ممتع ، بحيث يسهل على أى راغب فى معرفة أية سرية أو حملة عسكرية أو حادثة سياسية أو تشريعية هامة فى العهد النبوى ، أن يجدها فى هذه السلسلة

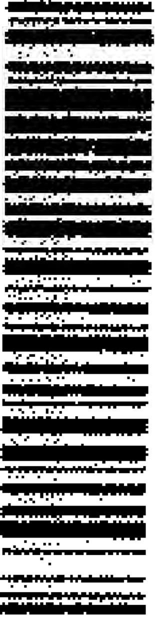
ولأهمية سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياة كل مسلم ، وضعت العديد من المؤلفات القيمة فى هذا التاريخ المشرف . وبين يديك السيرة النبوية من الزاوية العسكرية ، حيث تتناول بين جنباتها كل الغزوات والسرايا التى خاضها المسلمون فى حياة الرسول ، وكذلك للتعرف على سيرة الصحابة ، وكيفية تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، ومن هذا يتضح لنا كيف دخل المسلمون التاريخ من أوسع أبوابه ، وما أحوجنا – نحن المسلمين – إلى الإلمام بهذه الأمثلة والروائع من تاريخ أسلافنا الأماجد لتكون لنا القدوة النافعة الصالحة

أخي القارىء :

بين يديك العدد السادس من هذه الموسوعة القيمة والتى سيتم طرحها مع الباعة على أعداد اسبوعية صباح كل يوم اثنين إن شاء الله ، بطباعة فاخرة ، على ورق ٧٠ جرام مصقول وسنقوم بالتجليد الجيد لهذه الموسوعة فى خمس مجلدات لتكون مرجع لك ولأجيال قادمة ، بإذن الله .

الناشر

١٥٤٩٤ / ٣٦١.٧٧٢



الثمن ٢٠٠ قرشاً